الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليـم العـالي والبـحث العـلمي
Ministère de l'enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف ميلة

معهد الآداب واللغات

قسم لغة وأدب عربي

المرجع : .....

حركية المكان في رواية "بلقيس (بكائية آخر الليل)" لعلاوة كوسة

مذكرة معدة استكمالا لمتطلبات شهادة الماستر

الشعبة: دراسات أدبية

التخصص: أدب جزائري

إعداد الطالبتان :

– مروة مراكشي

– نزيهة زعمة

إشراف الدكتورة:

– حنان بومالي

السنة الجامعية: 2018/2017

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

إنه ليسعدنا ويشرفنا أن نعبر بكلمة متواضعة لأهل الفضل

الذين قدموا لنا يد العون نتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى

الأستاذة المشرفة الدكتورة **"حنان بومالي"** على سعة صدرها وما

منحتنا من إرشادات وتعليمات وتوجيهات قيمة لإخراج هذا الجهد

إلى نور الوجود

إلى جميع أساتذة المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف

بميلة

وإلى كل من ساعدنا من قريب أو بعيد.

مروة - نزيهة

الفهرس

فهرس الموضوعات

الرقم	الموضوع	الصفحة
01	مقدمة	أ-ج
02	الفصل الأول :حركية المكان المفتوح في رواية بلقيس	5-20
03	أولا- البحر	6-8
04	ثانيا- المدينة	9-12
05	ثالثا- الشوارع	12-15
06	رابعا- المحطة	15-17
07	خامسا- الأرصفة	17-20
08	الفصل الثاني: حركية المكان المغلق في رواية بلقيس	22-35
09	أولا- الفندق	23-26
10	ثانيا- الغرفة	26-30
11	ثالثا- القاعة	30-33
12	رابعا- المرسم	33-35
13	الفصل الثالث: حركية المكان النفسي في رواية بلقيس	37-50
14	أولا- الحزن	38-40
15	ثانيا- الخيبة	41-44
16	ثالثا-الحب	44-46
17	رابعا-الخوف	46-47
18	خامسا-الشوق والحنين	48-50
19	خاتمة	52-53
20	ملخص	

مقدمة

تعد الرواية من أشهر أنواع الأدب العربي حيث تقوم على طرح قضايا أخلاقية واجتماعية مختلفة وهي الأقدر على تصوير واقع حياة الإنسان ومختلف القضايا التي يعيشها، كما أنها الوسيلة الأمثل للتعبير عن مشكلات المجتمع بإعطاء صورة عن الواقع، ولقد احتلت الرواية الجزائرية مكانة راقية في الساحة الأدبية الجزائرية وتطورت تطورا كبيرا، من حيث معالجتها للقضايا المختلفة ونقل صوت الأديب وآلام البشر ومعاناتهم.

ولأن الرواية جنس نثري تتشكل من جملة البنيات السردية، فقد جرب الروائيون الجزائريون المعاصرون أساليب سردية متنوعة أسهمت في تكوين نسيج العمل الروائي، ويعد عنصر المكان أحد أهم العناصر المشكلة للرواية حيث لا يمكن تصور باقي عناصر الرواية من أحداث وشخصيات وزمان دون إطار مكاني يجمعهم لأنه لا وجود للحياة دون مكان.

ونظرا لهذه الأهمية التي يحتلها المكان في الرواية، فقد كان عنوان بحثنا "حركية المكان في رواية بلقيس(بكائية آخر الليل) لعلاوة كوسة"، حيث انطلقنا في دراسته من إشكال رئيسي وهو: كيف أسهم المكان في استمرارية الأحداث وتحريك الشخصيات في رواية بلقيس؟بالإضافة إلى إشكالات أخرى ثانوية منها:

1/ كيف تشكل المكان في الرواية وماهي علاقته ببقية عناصر العمل الروائي؟

2/ ما هي الدلالات التي ولدها عنصر المكان من خلال حركية الشخصيات؟

3/ هل وفق الروائي في تحديد المكان من بداية النص إلى نهايته؟

أما سبب اختيارنا لرواية بلقيس فراجع لظهور المكان بمختلف أنواعه المغلق والمفتوح والنفسي بشكل واضح ومتكرر من بداية الرواية إلى نهايتها، وتأثيره في حركية الأحداث بالإضافة إلى أسباب أخرى أهم>>ها:

– قناعتنا بأهمية الفن الروائي باعتباره يرصد ويلامس الواقع.

- رغبتنا في تسليط الضوء على الرواية الجزائرية تحديدا لأنها تستحق الإلتفات و الإهتمام أكثر.

- مجال تخصصنا في الأدب العربي الجزائري دفعنا لاختيار رواية تصب في هذا المجال.

وقد تقاطع هذا البحث مع مجموعة من الدراسات التي سبقته في هذا الميدان من بينها.

- محمد بوعزة: تحليل النص السردي (تقنيات و مفاهيم).
- مهدي عبيدي : جماليات المكان في ثلاثية حنة مينة (حكاية بحار،الدقل ،المرفأ البعيد).
- ياسين النصير :الرواية و المكان.

والهدف من الدراسة هو حركية المكان في رواية بلقيس (بكائية آخر الليل) لعلاوة كوسة.

وفيما يخص المنهج المعتمد هو المنهج البنيوي وذلك لمعالجتنا أهم بنية وتقنية يتكئ عليها العمل السردي، وهي بنية المكان وكيف ساهمت هذه البنية في تشكيل علاقات مختلفة بين الشخصيات وقدرة المكان في سيطرته على فعل الشخصية ودورها.

وللإجابة على التساؤلات السابقة وجب علينا وضع خطة منهجية حسب ما تقتضيه الدراسة، مقدمة وثلاثة فصول ثم خاتمة، فأما الفصل الأول وعنوانه "حركية المكان المفتوح في رواية بلقيس" فقد درسنا فيه الأمكنة المفتوحة في الرواية وحركيتها كالبحر والمدينة والشوارع، وأما الفصل الثاني وعنوانه "حركية المكان المغلق في رواية بلقيس "، فقد تعرضنا فيه للأمكنة المغلقة كالفندق والغرفة والقاعة والمرسم، في حين الفصل الثالث المعنون" حركية المكان النفسي في رواية بلقيس" درسنا فيه الأمكنة النفسية كالحزن، الخيبة والحب، لنختم هذا البحث بأهم النتائج المتوصل إليها.

ولقد استقى البحث مادته من مصادر ومراجع عدة أهمها: رواية بلقيس (بكائية آخر الليل) لعلاوة كوسة، وبنية الشكل الروائي لحسن بحراوي،وبناء الرواية لسيزا قاسم، إضافة إلى كتاب جماليات المكان لغاستون باشلار ومجموعة من الكتب القيمة الأخرى.

وفي رحلة البحث اعترضت طريقنا بعض الصعوبات من بينها قلة الوقت و كثرة المصادر والمراجع و تداخلها و اختلاف وجهات النظر و غياب المقاربات التطبيقية للرواية.

وفي ختام البحث نوجه الشكر والعرفان للمولى عز وجل الذي أعاننا على إنجاز هذا العمل والأستاذة المشرفة الدكتورة "**حنان بومالي**" ولجنة المناقشة وكل أساتذة معهد الآداب واللغات.

الفصل الأول:حركية المكان المفتوح في رواية بلقيس

أولا- البحر
ثانيا- المدينة
ثالثا- الشوارع
رابعا- المحطة
خامسا- الأرصفة

لا يرتبط المكان الروائي ببنية الرواية فحسب، وإنما يسهم في تشكيل أبعادها الدلالية من خلال اشتغال مكوناته على مقومات الهوية، على الذات والتاريخ والوطن والقيم الروحية والأخلاقية، كما يتصل أيضا بعملية التلقي، ينفذ من خلاله القارئ إلى أغوار الرواية فيكشف عن بنياتها الدلالية العميقة.

ويمثل المكان «مكونا محوريا في بنية السرد بحيث لا يمكن تصور حكاية بدون مكان، ولا وجود لأحداث خارج المكان، ذلك أن كل حدث يأخذ وجوده في مكان محدد وزمان معين»[1]، أي إن المكان أخذ المكونات الأساسية في بناء الرواية وهذا المساعد الرئيسي الذي يعمل على تطويرها وهذا الحيز الذي تتحرك فيه الشخصيات أو تقيم فيه فتنشأ بذلك علاقة متبادلة بين الشخصية والمكان.

ويساهم المكان في: «خلق المعنى داخل الرواية ولا يكون دائما تابعا أو سلبيا بل انه أحيانا يمكن للروائي أن يحول عنصر المكان إلى أداة للتعبير عن موقف الأبطال من العالم»[2]، ويقصد به هنا أن المكان غالبا ما يكون هو الهدف من وجود العمل كله فهو يعتبر عنصرا فعالا في تطور وبناء الرواية وفي طبيعة الشخصيات التي تتفاعل معه وهو القاعدة الأساسية في الرواية.

إذن لا رواية خارج المكان وكل مكان يحمل خصوصيته التي يفرضها على الشخصيات والأحداث كما أن الانتقال يعطي تحولات اجتماعية واقتصادية معينة، وبما أن الأمكنة معاشة من طرف الكاتب فإنها تكشف أزمنتها إذا استطاع استنطاقها، ويلعب المكان دورا هاما في التنشئة والتربية والعادات والتقاليد ولهذا فالمكان يضع إلى حد ما الشخصيات والأحداث.

---

[1] محمد بوعزة: تحليل النص السردي (تقنيات ومفاهيم)، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010، ص 99.

[2] حميد لحميداني: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، بيروت، ط1، 1998، ص 73.

ويعد المكان المفتوح من أهم المواضيع التي شغلت بال المفكرين هو الذي يسمح لشخصيات النص الروائي في التنقل بحرية فهو مكان منفتح على العالم الخارجي خلاف المكان المغلق الذي يمنح الشخصية الروائية الاستقرار والثبات ضمن إطار محدود المسافة.

وتحتل الأماكن المفتوحة أهمية بارزة في الرواية فهي تساعد على «الإمساك بما هو جوهري أي مجموع القيم والدلالات المتصلة بها»[1]، أي الأمكنة المفتوحة تبحث في العلاقات الاجتماعية والإنسانية والتحولات الحاصلة في المجتمع.

ويمكن تتبع حركية الأماكن المفتوحة في الرواية بناء على درجة انفتاحها من جهة وكثافة حضورها من جهة أخرى.

أولا – البحر.

يعد البحر مكانا مفتوحا شاسعا لا متناهيا وهو مصدر رزق للإنسان ولقد شغل المفكرين والأدباء وخاصة الروائيين منذ بداية التأسيس للرواية العربية والغربية على حد سواء. ويحتل البحر في رواية بلقيس لعلاوة كوسة أهمية بالغة يؤكدها حضوره الكثيف بداية بعنوان التقديم لمحمد الصالح خرفي «أنا وأنت والبحر» وكذلك يثبته حضوره، المتوافر بين شخصيتي بلقيس وخليل باعتباره نقطة التقائهما، ولقد بينت الرواية العلاقة الوطيدة بين خليل والبحر فبينهما حسابات قديمة:«وفتحت أمامك المدينة الساحلية أبوابها السبعة المقدسة... وأغرتك ببحرها الذي بينك وبينه حسابات قديمة»[2]، وهنا يمكن القول أن البحر يسهم في الإيهام بالواقع ويحدث وقع في نفسية الشخصيات ويسهم في تشكيل موقفهم من العالم.

وفي هذا النص الروائي يظهر أن البحر مستقر للبطلين من أجل التخلص من الضغوطات، أما عن علاقة البحر والمدينة فالبحر يعد شاهدا على تحولاتها وسيرورتها

---

[1] حسن البحراوي: بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، لبنان، بيروت، ط1، 1990، ص 79.

[2] علاوة كوسة : رواية بلقيس (بكائية آخر الليل)، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر، ط2، 2014، ص 30-31.

الزمنية فهو جزء من هذه المدينة التي تعج بالشوارع والبنايات والشرفات والمحلات والأرصفة، «المدينة والبحر يا خليل ... يمارسان معا تحولاتهما الأبدية... يعيشا فكرتهما بشجاعة...وجرأة... ما داما على قناعة»[1].

فالبحر يمثل القوة التي تسيطر على حركية الحياة وأحداث الشخصيات باعتباره مكون من مكونات الرواية، وهو كذلك مكان تجري فيه الأحداث و«البحر يمزج علاقة الماضي بالحاضر، والحياة بالوجدان فالعلاقة بين الإنسان والبحر هي علاقة الذكرى والكدح، هي معانقة الفرح والحزن، هي السعادة وحب الحياة»[2]،إذ إن البحر يعد ذاكرة خليل فقد أصبح مكان يلجأ إليه الإنسان هروبا من الأزمات العاطفية والحديث هنا عن خليل والبحر هو الحديث عن الحنين والانتظار، ويأتي خوف البطلة بعد الغياب المفاجئ للبطل وهذا يعتبر رد فعلي طبيعي«إنك أودعته أسرارك ولابد يوما أن ترد الودائع ... لكن كان عليك أن تصطحبني إلى هناك أخشى على أحدكما من الآخر»[3].

فالرواية توضح العلاقة القائمة بين الشخصية والمكان الذي يلجأ إليه من أجل استرجاع ما فقده ولعدم قدرة البطل على مواجهة واقعه الأليم «فالمكان الفسيح هو صديق الوجود»[4]، فالبحر هو الوسيلة المثالية من أجل التعبير ما لم يستطع المجتمع إيجاد حل له فالبحر عالم فسيح تتنفس فيه شخصيات الرواية.

ثم ينتقل من مدينة الى أخرى بعد أن أثر البحر على ذاكرته، والدعوة إلى الملتقى كانت فرصته من أجل تصفية حسابات قديمة كان يتناساها وبذلك يضحى البحر في هذه

---

[1] علاوة كوسة: رواية بلقيس (بكائية آخر الليل)، ص 106.

[2]مهدي عبيدي: جماليات المكان في ثلاثية حنا مينة (حكاية البحار – الدقل –المرفأ البعيد)، منشورات الهيئة العامة السوري للكتاب، وزارة الثقافة، سوريا، دمشق، ط01، 2011، ص 116، 2017.

[3]علاوة كوسة: رواية بلقيس (بكائية آخر الليل)، ص 115–116.

[4]غاستون باشلار: جماليات المكان، تر: غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، بيروت، ط02، 1984، ص 188.

المدينة الساحلية نقطة تحول في حياة البطلين وخاصة خليل، بعد أن اجتمعا على الجراح وعقل يعج بالذكريات الأليمة والأحزان وافترقا بأحلام جديدة وقد أودعوه ذكرياتهم الآسية.

تقول بلقيس:

لا يا حبي.....القديم..... عدى ولن يعود.

أتعتقدين ذلك؟

أنظر فقط إلى ما هو آت .....هذا.....هذا يا خليل[1].

البحر هو مكان الولادة والتحولات والبعث كما أنه يدل على الارتياب والشك والحيرة الذي يمكن أن يؤول إلى خير أو شر فهو الباعث للحياة والتجدد والعمود الفقري في هذه الرواية فهو رمز لحركية حياة الشخصيتين وفعاليتهما ومصدر تأثير من خلال استرجاع الماضي، فالبحر هنا حمل في طياته العديد من الدلالات الإيجابية مثل: الحب، الأمل البوح، الفرح، أما السلبية: الخوف، الحزن، الآلام الفقدان.

فقد استطاع صاحب الرواية ربط البحر بمختلف القيم الإنسانية كالحب والشعر والموسيقى والرسم وكذلك إعطاء الرواية "عالمها الداخلي المتنامي والحيوية والجمالية، والبحر رأيناه مكانا شديد الخصوبة لإنشاء التخييل الروائي، متحركا باستمرار ولا يمنح الاستقرار للموجودين[2] وذلك من خلال أفاقه المفتوحة ومنحه للشخصية الروائية مجالا للتأمل وكذلك الإرادة والاندفاع.

[1]علاوة كوسة: رواية بلقيس (بكائية آخر الليل)، ص 154.

[2]مهدي عبيدي: جماليات المكان في ثلاثية حنا مينة، ص 133.

ثانيا- المدينة.

المدينة فضاء جغرافي مفتوح يعيش فيه مجموعة سكانية بتعداد كبير سواء تجمعهم قرابة أو لا تجمعهم، تشغل أراضيها، في مشاريع متعددة وأهم ما يميزها توفرها على مرافق وخدمات متنوعة وتختلف حياة المدينة عن حياة الريف بحيث أن الفرد في المدينة يصبح أكثر حرية على المستوى الشخصي فهو ينفلت أكثر من مراقبة الآخرين عكس الريف الذي يتميز بعدد أقل من السكان والبعد عن الازدحام وتطور المدن ولا يسلم أفراده من المراقبة تحت إطار المحافظة ثم إن «المفهوم الحالي للمدينة الذي يعبر عن توافر مجموعة من مكونات تجمع سكاني من أبنية وخدمات ومرافق وإدارة ووسائل مواصلات واتصالات وغيرها من المقومات»[1]، أي إن المدينة هي مكان مفتوح تحتوي على العديد من المرافق لتكون في خدمة الناس ولتساعدهم في العيش.

وفيما يخص أحداث الرواية فقد دارت في مدينة من المدن الساحلية لم تذكر الرواية اسمها بالتحديد، رغم أن صاحب النص علاوة كوسة قد كتب هذا النص في مدينة جيجل فهو هنا ربما يقصد مكان الكتابة أو مدينة ساحلية أخرى، والعلاقة الوحيدة التي تربط المدينة التي كتب فيها النص الروائي والمدينة التي كتب عنها هي البحر، فكلمة بحر تظهر جلية من بداية النص حتى نهايته والتي كان من المفترض كما ذكر صاحب التقديم محمد الصالح خرفي أن تكون "أنا وأنت والبحر" «لسيطرة الزرقة على فضاء النص وسيطرة اللغة الزرقاء أيضا»[2]، أي إن أهم المرتكزات التي تتكئ عليها أحداث الرواية ناتجة عن أهم الدلالات التي ولدتها كلمة بحر من بداية النص حتى نهايته ووردت في الرواية مدن جزائرية الأمر

---

[1]يسار عابدين: مفهوم الفضيلة في مصطلح المدينة، مجلة جامعة دمشق للعلوم الهندسية، المجلد الثامن والعشرون، العدد الأول، 2012، ص 153.

[2]علاوة كوسة: رواية بلقيس (بكائية آخر الليل)، ص 06.

الذي يجعل القارئ يدرك أن الكاتب لم يهتم بالجانب الشخصي الذي دارت أحداثه بين الشخصيتين الرئيسيتين في هذا النص فقط.

كما عبرت الرواية عن حركة انتقال بلقيس من القرية أي الهدوء وقلة النشاط وتعرضها لصخب المدينة عكس ما هو موجود في القرية، باعتبار هذه الأخيرة مكان مفتوح لم يتعرض له الكاتب كثيرا في الرواية، فقد ذكر كلمة قرية في الرواية مرة واحدة حين وصول بلقيس إلى المدينة «ألج ساحته فبهوه الفسيح على مقاس إرهاقي من سفري الشاق، من قريتي الهادئة إلى مدينة صاخبة»[1]، وهنا يظهر أن الرحلة كانت شاقة ومتعبة للغاية وكذلك بين الفرق الرئيسي بين القرية والمدينة من خلال ضدية الهدوء والصخب.

وورد في الرواية وصف دقيق لشخصية بلقيس بالتركيز على أدق التفاصيل مثلما يظهر في قولها: «هويتي ذاك المساء فستان أزرق يشاكل لون البحر...محفظة رمادية»[2]فالوصف له وظيفة فنية مهمة، تقرب الحدث من القارئ وتوهمه أنه بصدد قراءة قصة حقيقية لا خيالية كما أنه يزيد في تشويق القارئ، وكذلك انتقالها عبر شوارع المدينة متجهة نحو الفندق.

لم تكتف الرواية بذكر أحداث انتقال بلقيس إلى المدينة فقط بل تطرقت إلى ذكر أهم أحداث انتقال شخصية خليل في النص مارا بمدن جزائرية بداية بقسنطينة والتي تتجلى في قوله:«دخلتها وقد مررت بجسور من حنين معلقة بين الوريدين»[3]،وهذا القول دال على مدينة قسنطينة المعروفة بمدينة الجسور المعلقة وكذلك مدينة سطيف التي تظهر في قوله: «عبرت مدينة تفور منها عيون مرمرية من تحت عذراء قد أخرجت أثقالها»[4]، وهذا قول

---

[1]علاوة كوسة: رواية بلقيس (بكائية آخر الليل)، ص 19.

[2]المصدر نفسه، ص 18.

[3]المصدر نفسه، ص 33.

[4] المصدر نفسه ،الصفحة نفسها.

دال على مدينة سطيف من خلال وصف المنحوتة المصنوعة من الحجر الأبيض والمرمر التي تتوسط ساحة الاستقلال بهذه المدينة.

وهذه الأوصاف التي وظفها علاوة كوسة هي أماكن حقيقية لا خيالية وذلك ليقرب روايته من الواقع الذي عبر عنه ولقد صادفتنا العديد من الأماكن في المدن التي ذكرها مثل: الفندق، المحطة النادي، المرسم، المحلات، القصر الحمراء، قصر الأمير، قصر الباي...إلخ وقد أدى هذا الوصف العديد من الوظائف منها الوظيفة التعليمية من أجل التعريف بأبرز معالم الجزائر وكذلك يسعى الكاتب إلى تعليم تاريخ مدينة الجزائر، وبعدها نزوله إلى المحطة الشرقية وانتقاله عبر شوارع المدينة وصولا إلى الفندق.

ولقد أثبتت المدينة حضورها في هذه الرواية من خلال ما تتصف به من أحياء عريقة وتطور عمراني وحضاري ودليل ذلك تنقل الأديبين بلقيس وخليل مدينة تلوى من أجل حضور ملتقى "الريشة والقلم" وظهور نوع جديد من الفنون وهو تحويل القصائد الشعرية التي يلقونها في الملتقى إلى لوحات فنية تعرض في المعارض، كما المدينة تمنحك نوعا من الراحة والثقة خاصة هذه المدينة الساحلية لما تحتويه من مرافق متطورة وكذلك أهم شيء فيها هو البحر الذي غزى وبشكل كبير على صفحات هذه المدينة.

إن المكان وبالرغم من أهميته لا يتبلور إلا من خلال الشخصيات التي تضع الأحداث إذ إن :«حركية المكان وشموليته تنبثق من حيوية الشخصية ومن سيولة المكان المتدفقة دون توقف أي من العلاقة الجدلية وعلاقة التأثير المتبادل أو التضاد والتنافر ما بين الشخصية والمكان»[1]، مثلا وبصورة تقريرية مفصلة وواضحة نرى أن الكاتب أعطى وصفا للعديد من المدن الجزائرية ووضح سماتها التي بمجملها أعطت مشاهد حركية جميلة

[1] مهدي عبيدي: جماليات المكان في ثلاثية حنا مينة، ص 188.

من خلال جعل هذه الأماكن منسجمة مع مزاج شخصيتي الرواية وطبائعها وهذه البيئات المكانية الموصوفة تؤثر في الشخصية وتتأثر بها وتدفعها للقيام بأحداث تتناسب معها.

تعد المدينة مكان انتقال ومسرح لحركة الناس فيه والمدينة التي ركز عليها الكاتب في هذا النص مفتوحة على البحر، حيث ساهمت في بناء الشخصيات الروائية بما يتناسب مع الحالة النفسية التي تمر بها هاته الشخصيات وتحضر المدينة بقوة في هذه الرواية من خلال رصد الكاتب لشوارعها وحركة أناسها.

وتوظيف المدينة في الرواية يكشف عن حالة الشخصيتين وما ينتابها من قلق وتوتر وتعلق بالماضي وما تخبئه هذه المدينة في طياتها من أسرار ولقد استطاع الكاتب أن يتطرق إلى عالم المدينة بمختلف ملامحها، فقد عكس حضور الرواية جانب من التحولات التي عرفتها الشخصيات، فقد شكلت موضوع خصب داخل الرواية رصد من خلالها الكاتب مستجدات الحركة النفسية والعاطفية لبلقيس وخليل.

ثالثا- الشوارع.

الشارع هو جزء من المدينة ومكان حيوي تختلف فيه الحركة حسب تموقعه فإذا كان مدنيا تزداد طبيعة نشاطه وإذا كان ريفيا تقل فيه الحركة ويستقبل كل فئات المجتمع: «فالشارع هو صحراء المدينة وجزؤها الزمني وحياتها الدائبة المتحركة، ولولب بعدها الحضارة لامتداده طاقة على هذا الخيال ولانعطافاته تحولات في الزمان والمكان»[1]، إذ إن الشارع نبض وحياة وتجدد، فهو مكان كل الحركات والتفاصيل والإشارات ولقد ورد الحديث عن شوارع المدينة في الرواية فهي تمثل أماكن مرور الشخصيات فالشارع بالنسبة لبلقيس كما يظهر في النص مكان مفعم بالحركة ويعج بالصخب والضجة نهارا، ويأخذ أبعاد الآلام والحزن لشخصيتي بلقيس وخليل.

[1] ياسين النصير: الرواية والمكان، دار الحرية للطباعة، العراق، بغداد، ط 02، 1986، ص 114.

حين كانت بلقيس تجوب شوارع المدينة متجهة نحو دار الثقافة حيث رأى فيها نفسه ورأى فيها عوالما من تيه حين قال: «كيف أنني اكتشفت فيك ذاتي... المسافرة في دروب التيه التواقة إلى أمكنة مؤسطرة»[1]، وهنا يمكن القول أن معرفة الذات لا يمكن أن تتحقق إلا بمعرفة الآخر ويرجع إلى مدى تقبل الفرد الطرف الآخر وهذا ما حمل مع خليل وبلقيس حين رأى فيها نفسه وروحه التائهة.

ولقد كان الشارع في هذه الرواية مجالا للتعبير عن أحاسيس البطلين الممزوجة بالقلق والتوتر حين كانت بلقيس تجوب شوارع المدينة وشعور الفقدان والرغبة للقاء الحبيب تهز البدن، حينها أدركت أنها أحبت كما لم تحب من قبل «فلا أتلمس غيابك يا خليل .... عني.... الآن.....فأدرك للخفقة الألف أني بلغت درجة لا أستطيع عندها التخلي عنك ...أو البقاء بعيدة عنك...أدركت أني...أحبك...أو كما لم يحدث مع أي رجل من قبلك»[2].

ولقد استطاع الروائي علاوة كوسة إدخالنا في جو الرواية من خلال تنقل الشخصيتين وتحولهما في هذه المدينة الساحلية التي شهدت آلام وأحلام بلقيس وخليل فالشوارع تعد وسيلة من وسائل التعبير المعنوي في الرواية.

يعد الشارع مكانا مفتوحا يعج بالمارة ويمثل نقطة عبور للشخصيات الروائية ولقد رصد الكاتب تحركات البطلين في هذه المدينة الساحلية إذ إن:«الشارع يعد الشريان الذي يمد المدينة حياة فهو دائم الخصب ونقطة تقاطع عمومية للفضاءات الشعبية، وعليه فقد استحالت محدوديته على اتساع مجازي»[3] فالإنسان يحتاج مجالا للبوح بما يختلجه من أحاسيس ومشاعر فيؤثر الشارع في الشخصية الروائية إما بإيجابية أو سلبية ومن الملاحظ

---

[1]علاوة كوسة: رواية بلقيس (بكائية آخر الليل)، ص 53.

[2]المصدر نفسه، ص 104.

[3]جيرار جنيت وآخرون: الفضاء الروائي، تر: عبد الرحيم حزل، دار إفريقيا للنشر، لبنان، بيروت، د ط، 2002، ص 127.

في هذه الرواية أنه من المكونات الأساسية للمكان خاصة أن«المكان يمثل الخلفية التي تقع فيها أحداث الرواية»[1]، أي إنها تمثل مكان اللقاءات والتنقل بحرية.

يعد الشارع من تركيبة المدينة حيث ساهم في توضيح مسار البطلين، فهو يمسك بكلا الشخصيتين، ويغدو مصدر حسرة لهما، فهو مثير للأشجان ومحرك لكوامن النفس والشوق إلى الماضي إذ يعتبر الشارع وصفا لحالة تمر بها الشخصية الروائية ولقد وظف الكاتب الشارع توظيفا جماليا محكما حيث أدى إلى زيادة حدة التأزم النفسي لدى البطلين ونمو الحزن في ذاتيتهما، فالشارع هو الحضن الذي يتلقى هذه الذات المنعزلة، والمنفردة والضعيفة، والتائهة والحائرة على الرغم مما يحيط بها من أسباب الأسى «كنت أفضل ذاك الصباح أن أرى المدينة بعيون الزائرين ... وأن أعبر شوارعها الثابتة للقارة بأقدام الوافدين .... المتحولين...»[2].

فغالبا ما ترتبط لفظة شارع بدلالات الازدحام والاختلاط والحركة فالشارع هو الذي يتيح للشخصية الامتلاء بالعالم قبل أن تلج مكانها المغلق «وها أنا الآن لازلت أمارس فكرتي صامتة وأنا أجوب هذه المدينة الساحلية المغرية... أتحول من شارع إلى آخر... أفكر أن انتشي بهذه الفسحة كأي سائح يكتشف أسرار مدينة يزورها لأول مرة ... لكن شيئا ما ..... إحساسا ما... تيها ما.... يحرمني هذه النشوة..»[3]، الشوارع في رواية بلقيس موضع تجوال ولفظة تفسح وإن دلت على شيء وإنما هي دلالة صريحة على العشق المتولد في هذه الأمكنة في إطار ما يجمع البطلين من حب.

---

[1]سيزا قاسم: بناء الرواية (دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ)، مهرجان القراءة للجميع، مصر، القاهرة، د ط، 2004، ص 106.

[2]علاوة كوسة: بلقيس (بكائية آخر الليل)، ص 48.

[3]المصدر نفسه، ص 103.

إنه رمز السعادة والغبطة والسرور والنشوة وما يثيره من ذكرى طقوس الحب والمتعة «كيف أسمي الذي كان بيني وبين ذلك الذي لم أعد أقوى على ذكر اسمه ... أليس حبا... أليس احتراقا... رهيبا ... هو كذلك»[1]، تلك السعادة التي قد تظهر في بعض الأحيان ليلفها الأسى والحزن ولوعة العزلة مدة أخرى تعبر عن في حقيقة الأمر على مزاج الشخصية.

لقد ورد ذكر لفظة الشارع في الرواية عدة مرات ولقد كان شاهدا على سير بعض أحداث الرواية وتنقل شخصياتها ولقد ركز الروائي علاوة كوسة على الشارع المدني في هذه الرواية، حيث جعلنا نعيش أحداث هذه الرواية من خلال تجول البطلين في شوارع هذه المدينة الساحلية، إن توظيف الشارع في هذه الرواية دليل على ولادة جديدة بما هو أهل للتغيير.

وفي هذا النص وقفنا على أهم التغييرات التي لاحقت البطلين، فالكاتب هنا بين كيف ساهم الشارع في رسم الشخصيات الروائية في هذا النص باعتباره مكان حاضن لهذه الشخصيات وكذلك كيف تم وصفه ووصف شخصياته والتأثير المتبادل بينهما، والعلاقة الفاعلة بين الشارع والأشخاص، تجعلنا نرى كيف رسم المكان أشخاصه بالأمل والسعادة والحب تارة والألم والحزن والخوف والفقدان تارة أخرى وهذا النوع من التوظيف المكاني يجعلنا نعرف كل شيء عن كل إنسان فيها.

رابعا- المحطة.

تعد المحطة من الأماكن المفتوحة التي يلتقي فيها المسافرون والعابرون والمقبلون من كل صوب ومن كل مكان فهي بمثابة «الجسر الذي ينقلنا من مكان إلى آخر، فيعتبرها

[1] علاوة كوسة: رواية بلقيس(بكائية آخر الليل)، ص 104.

شريبط أحمد شريبط بمثابة العتبة للمدينة أو المرتفع كما عدّها مكانا لتصادم قيم الريف مع قيم المدينة، وهي المعبر الذي من خلاله تتحقق الأحلام أو تتكسر»[1].

وأول محطة تنفتح عليها أعين البطل على عالم جديد وأناس جاؤوا من أماكن مختلفة هي محطة الحافلة كما كانت محطة فاصلة بين القرية والمدينة لكنها اعتبرت جسرا تتحقق عبره الأحلام. لقد غادرت بلقيس قريتها متجهة نحو المدينة، فعبرت محطة الحافلة لتنقلها إلى وجهتها المقصودة «ورُب أمسية حللت فيها بتلك المدينة الساحلية خير من ألف صبح....استقبلتني المحطة الغربية بحركيتها المقلقة التي لا تهدأ أبدا... ولمحطات ذاكرة تحفظ هويات العابرين جميعهم»[2]،فكانت محطة المدينة بالنسبة لبلقيس منطلق لبداية أحلامها وتحقيق أهدافها، وذلك من خلال حضورها ملتقى "الريشة والقلم" وتحويل النص الشعري إل لوحة فنية.

إذ تعد المحطة مكانا للتنقل والتلاقي والحركة تتحرك فيه الشخصيات وهي صورة مصغرة للمدينة فهي تمثل حقيقة التواصل مع الآخرين ونقطة الاتصال والالتقاء مع العالم والروائي لم يركز على المحطة كمكان فحسب وإنما كان ارتكازه على أنها منطلق وبداية لتحقيق الأحلام من خلال حضور البطلين ملتقى "الريشة والقلم"، فبطل الرواية خليل وعند قدومه إلى المدينة كانت المحطة أول معبر اجتازه ليلج بعد ذلك عالما جديدا وحياة أخرى «ها الأقدار شيعتني هذا المساء... وبعد سفر... شاق إلى المحطة الشرقية ... وها أنا ادخل المدينة التي دخلتها قبلها بحزمة حزن ... وحقائب خيبات ... دخلتها وقد مررت بجسور من حنين معلقة بين الوريدين... دخلتها وقد عبرت مدينة تفور منها عيون مرمرية

---

[1]شريبط أحمد شريبط: بنية الفضاء في رواية (إذًا يوم جديد)، مجلة ثقافة، تصدر عن وزارة الثقافة والاتصال، العدد 115، 1995، ص 158.

[2]علاوة كوسة: رواية بلقيس (بكائية آخر الليل)، ص 18.

من تحت عذراء قد أخرجت أثقالها»[1] ، وهكذا تجمع المحطة خليل وبلقيس وتأخذهما إلى مدينة جديدة لحضور ملتقى "الريشة والقلم"، ثم تجمعهما الأقدار في فندق واحد.

خامسا- الأرصفة.

يعدّ الرصيف الوجه الإنساني للمدينة، إذ يشكل مكانا حيويا يعج بالحركة والضجيج وإيقاع خطوات المارين، فالأرصفة تشكل معلما حضاريا يساهم في تكوين ورسم معمارية المدينة، ثم إن «الرصيف حضارة وثقافة، هو يتعدى كونه مظهرا عمرانيا لمدينة كاملة ولكنه أكثر ما في بنية المدينة للمشي والتفكير والتفكر، هو صانع الثقافة وموحد الجو العام»[2].

فبعض المدن كأنها نشأت لتمنحنا ذلك الرصيف، الذي نجد فيه المعنى مستلقيا بين متاهات الطرق وتفاصيل الأرصفة، يحكي حكايات البشر في صمت كما ينوه الروائي علاوة كوسة إلى ذلك بقوله: «... للمدينة شوارعها ... وللشوارع أسماؤها... وللأرصفة ذاكرة تحفظ لغو العابرين...»[3].

فالروائي يجعل من المدينة لها شوارع متعددة وأسماء مختلفة والأرصفة مفعمة بالحركة تنبعث منها حكايات البشر المارين عليها من خلال كلامهم ووقع أقدامهم فهي بذلك تحفظ حزنهم وفرحهم وما يفكرون به.

وبما أن الرصيف عنوان كنه المدينة وحامل حضارتها، كان لابد أن يكون هو الحجر الأساس والجسر الذي يشهد حركة انتقال مختلف البشر، فالرصيف هو «حجر البداية وجملة النهاية لأي رواية معمارية، الرصيف هو أن تتقن عمارتك، هو أن تربطها بنسيج المدينة وأن

---

[3] علاوة كوسة: (بكائية آخر الليل)، ص 33.

[2]محمد عدنان، الأرصفة تخبرك عن مدينتك، هاف بوست عربي، cm.huFFpost.com.entry 25 أكتوبر 2016، الساعة 11:45.

[3]علاوة كوسة: رواية بلقيس (بكائية آخر الليل)، ص 53.

تجعل المدينة جزء من حبكة فراغك»[1] ، فالرصيف هو العمود الأساسي لأي مدينة فهو جزء منها ويعمل على حركة انتقال المارين في حرية.

إذ يعد الرصيف مكان واقعي تتحرك فيه الشخصيات، باعتباره جزء لا يتجزأ من هذه المدينة الساحلية، حيث تمكن هو الآخر من رصد أحداث واقعية ساهمت في خدمة هذا النص الروائي فهو يعتبر رمز للحياة والحركة والأمل حيث لم يركز الراوي على إبراز المظاهر العمرانية والسكانية بقدر ما كان اهتمامه بما يجري فيها من أحداث أليمة وحزينة عالقة في ذاكرة البطلين، والرصيف يعتبر كشاهد عيان على مختلف هذه الصور الحزينة وما طرأ من تحولات، ويستحضر الروائي الرصيف في روايته أيضا في قوله: «أحس أن أرصفة الشوارع مازالت أليفة.... يقولني الصمت... وتُصغى الأرصفة إلى ضوضاء مدينتها... وثرثرة عابريها...»[2].

ويتجسد الرصيف في مقطع آخر: «قبل أن أطلع عليها... طالعت وجوه العابرين في هذا الشارع الطويل... وانفجرت فرحا وأنا ألمح طيفك ينساب عبقا... عطرا بين هؤلاء البشر المثرثرين... ومسامع الأرصفة لا تكاد تصغي إلا إليك... أيتها الشاعرة»[3]، من خلال المقطعين السابقين كأن الروائي يجول الرصيف من مَعْلَم معماري جامد لا يحرك ساكنا إلى جسد حي يحتضن ضجيج المارة ويفقه لغة العابرين.

بناء على ما سبق يتضح أن الحديث عن الأمكنة المفتوحة هو حديث عن الأماكن ذات مساحات واسعة توحي بالمجهول كالبحر توحي بالسلبية كالمدينة، ذات مساحات متوسطة كالشارع وهو يوحي بالألفة ولمحبة، ذات مساحات صغيرة كالرصيف والمحطة ولقد كون المكان المفتوح في رواية بلقيس علاوة كوسة حيزا مهما إذ ساعد على تشكيل

---

[1] محمد عدنان الكيلاني: الأرصفة تخبرك عن مدينتك' 25 أكتوبر 2016، الساعة 11:45.

[2] علاوة كوسة: رواية بلقيس (بكائية آخر الليل)، ص 34.

[3] المصدر نفسه ، ص 54.

شخصيات الرواية وأحاسيسها وانفعالاتها، فالشخصية في الرواية نراها تعبر عن نفسها من خلال أشكال المكان المتفاوتة.

فالأماكن المفتوحة تشكل مكانا رحب للأحداث والوقائع اليومية التي يعيشها الفرد والتي تتجلى فيها بوضوح الحركة والانتقال حيث تتردد عليها الشخصيات بما يقع عليها من تفاعلات وعلاقات عبر هذه الأماكن والتي تجلت بصورة واضحة في رواية بلقيس، فمثلا البحر في هذا النص جسد هموم وطموحات البطلين إذ دخل كمكان ولد العديد من التغييرات والتحولات ولقد أحب البطلين البحر، حيث ساهم هذا الحب في نسج علاقة حميمية وثيقة بينهما، فالبحر هو القوة التي تسيطر على حركة الحياة في هذا النص، فالبحر كمكان مفتوح يعتبر محرك لأحداث الرواية من خلال التفاعل التي يولدها في نفسية شخصيات الرواية.

وكذلك المدينة كانت بؤرة للتفاعلات والأحداث السائدة في الرواية،حيث احتلت مكانا بارزا في رواية بلقيس، إذ تعد بالدرجة الأولى البيئة التي ترعرعت فيها أحداث النص فقد ساهمت في نموها وتفاعلها من خلال علاقة التأثير والتأثر بين البطلين، فاهتمام الكاتب بالمدينة عكس من خلال مستجدات الحركة، التي ولدتها المدينة في نفسه الشخصيات، فحركية المكان تشتد أساسا إلى الشخصية ومدى تفاعلها داخله.

وموضوع الشارع الذي يعد هو الآخر مكانا مفتوحا داخل الرواية باعتباره جزء من المدينة حيث انعكست طبيعته ودلالته على الشخصيات فهو مرتبط في الأساس بالأماكن التي جرت فيها أحداث هذا النص، فقد طبع في نفسية الكاتب لمسة جمالية كشفت عن إحساسه العميق، اتجاه المكان ولقد رصد الكاتب، تحركات الشخصيات في شوارع هذه المدينة فتتبدل أفكار وتتجدد أفكار.

كما يرتبط الشارع في هذه الرواية بوعي البطلين وبحركة الواقع التي يعيشانها وبوتيرة هذه الحركة، وتعكس الرواية حيوية الشارع فيها وكثافة حركة الحياة فيه من خلال توليد

العديد من الدلالات كالفرح والسعادة تارة والحزن والألم تارة أخرى، ومن بين أهم الأمكنة التي وظفها الروائي علاوة كوسة أيضا المحطة باعتبارها المنطلق لبداية أحلام وتحقيق أهداف وتعتبر أول معبر اجتازه البطلين للوصول إلى عالم جديد وحياة جديدة.

وفي الأخير نذكر مكان الرصيف الذي كان شاهد عيان على مختلف التطورات والتحولات والتغيرات التي لحقت بحياة الشخصيتين في هذا النص باعتباره العمود الأساسي لأي مدينة فهو نقطة عبور المارين وحيز تتحرك فيه الشخصيات فهو رمز للبعث والأمل ومكان يتيح التحرك بكل حرية.

الفصل الثاني:حركية المكان المغلق في رواية بلقيس

أولا- الفندق

ثانيا- الغرفة

ثالثا- القاعة

رابعا- المرسم

المكان المغلق محدد بواسطة أبعاد معلومة، والأمكنة المغلقة توحي دوما بالعزلة والخصوصية إذ يحتضن "عدد محدودا من البشر ونوعا من العلاقات البشرية"[1]، وتتصف الأمكنة المغلقة بالمحدودية إذ أن الفعل لا يتجاوز الإطار المحدد كالبيت والغرفة.

والحديث عن الأماكن المغلقة هو« الحديث عن المكان الذي حددت مساحته ومكوناته كالغرف والبيوت والقصور، فهو المأوى الاختياري والضرورة الاجتماعية، أو كأسيجة السجون، فهو المكان الإجباري المؤقت، فقد تكشف الأمكنة المغلقة عن الألفة والأمان، أو قد تكون مصدر للحقوق»[2].

بمعنى هو المكان الذي حددت مساحته ومكوناته، ويلجأ إليه الإنسان ليبقى فيه سواء بإرادته أو بإرادة الآخرين، وتتميز هذه الأماكن بمميزات قد تكون إيجابية مثل (الألفة والأمان) كما قد تكون سلبية مثل (الخوف والوحدة) والانغلاق في مكان واحد تعبيرا عن العجز وعدم القدرة على الفعل والتفاعل مع العالم الخارجي، ويميل بعض الروائيين إلى الأمكنة المغلقة التي يحبسون فيها شخصياتهم فلا تبرح مكانها وذلك سعيا وراء تعميق حياتهم الداخلية، وعدم الدفع بها للمغامرة في الخارج.

ويوظف بعض الروائيين الأمكنة المفتوحة والأمكنة المغلقة «لغرض دراسة القيم الرمزية المرتبطة بالمناظر التي تتاح لرؤية السارد أو الشخصيات سواء في أماكن إقامتهم كالبيت والغرف أو في الأماكن المنفتحة الخفية أو الظاهرة، المركزية أو الهامشية... وغيرها من التعارضات التي تعمل كمسار يتضح فيه تخيل الكاتب والقارئ معا»[3]، فالأماكن

---

[1]عبد الحميد بورايو: منطق السرد، دراسة في القصة الجزائرية الحديثة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994، ص 146-147.

[2]مهدي عبيدي: جماليات المكان في ثلاثية حنا مينه، ص 43.

[3]حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي، ص 25.

المغلقة هي أماكن إقامة الشخصيات ولها أهمية في الرواية العربية أو الغربية على حد سواء يصفها الكاتب للإشارة إلى أبعاد يكشفها القارئ ويختارها الإنسان حسب ذوقه وشخصيته.

وفي رواية بلقيس لعلاوة كوسة نجد قدرا معتبرا من الأمكنة المغلقة حرص على تقديمها في صور متعددة تتغير حركيتها من موضع إلى آخر، وأهمها مايأتي:

أولا- الفندق.

يكتسب الفندق مكانة مميزة في الرواية العربية، باعتباره مكانا للسكن والنوم للناس بشكل عام والزوار بشكل خاص إلى جانب ما يقدمه من خدمات مقابل أجرة إذ «يشكل الفندق إحدى محطات الشخصية، فهو بالنسبة لها أحد أمكنة الإقامة الاختيارية شبه المغلقة وانفتاحه يظهر في تقارب غرفه وفي النوافذ التي تسمح برؤية ما في خارجه»[1]، يظهر الفندق كمكان لاستقبال المسافرين، ولقد شكل الفندق إحدى محطات الشخصيات في رواية بلقيس.

حيث تم توظيف الكاتب للفندق أكثر من مرة كمكان لإقامة بلقيس وخليل أثناء رحلتهما إلى هذه المدينة الساحلية، فيطلعنا على البطلين بداية بشخصية بلقيس ووصولها إلى المحطة الغربية بتلك المدينة الساحلية وانتقالها إلى الفندق في قولها: «أدركت ذلك وأنا أدنو نبضة ... نبضة من الفندق الذي سأقيم فيه»[2]، فالفندق هو مكان مغلق يرتد إليه الناس لقضاء حاجاتهم بعد عناء السفر« بوجه مشرق رحب بي المضيف وقدمت بطاقة

---

[1]سعدية بن يحي: دلالة المكان في رواية عابر سرير أحلام مستغانمي، مذكرة لنيل شهادة الماجستير جامعة الجزائر، 2007-2008، ص 63.(غير منشورة)

[2]علاوة كوسة: رواية بلقيس (بكائية آخر الليل)، ص 19.

هويتي... وزفني اختياره غرفة من غرف الفندق»[1]، بعد وصولها مباشرة إلى الفندق واستقبالها من طرف المضيف.

والفندق مكان واسع يشمل على غرف عديدة تكون مخصصة للإيواء، وهذا ما يؤكده وصول خليل بعد سفره إلى المحطة الشرقية وانتقاله هو الآخر إلى الفندق «وعيناي القريحتان تتوضآن من ملح اغترابي المتنامي كلما حللت بمدينة ليس فيها صديق ... لتصليا ركعتين في التيه على سجادة، الثابت والمتحول هذه الليلة بالفندق الذي دنوت من حماه»[2]إذ يصف حاله بعد وصوله الفندق مباشرة ونفسه تجول في عوالم من تيه وهذا حال كل مغترب يحل بمدينة ليس له فيها أي صديق، فتوظيف كلمة الاغتراب دلالة الانغلاق والضيق والاختناق وبين محاولة نسيان الماضي والبدء من جديد، وعليه فإن الشخصيتان اتخذنا من الفندق مكانا لترتيب حياتها وفق ما استجد عليهما.

والدلالات التي يحملها الفندق في هذا النص هي مزيج بين دلالتين، الدلالة التأثيرية والدلالة الرمزية، فأما الدلالة التأثيرية هي نتاج تفاعل الشخصيتين مع المكان وفق المستجدات التي تطرأ عليهما وأما الدلالة الرمزية فتحيل إلى تأزم نفسية البطلين وما يشعران به من ضيق لحظة وصولهما هذه المدينة وخاصة الفندق، وبتتبعنا للمكان داخل الرواية يبرز الفندق عنصرا فاعلا في بنائها عكس بدوره صورة الشخصيتين الروائية ومدى تفاعلها.

والفندق كمكان للإقامة، يمنح للشخصية الروائية الاستقرار من خلال الخدمات التي يقدمها عماله وخاصة توفير الغرف الملائمة حيث «تصبح الغرف غطاء للإنسان يدخلها فيخلع جزءا من ملابسه ويدخلها ليرتدي جزءا آخر وعندما يألفها يتحرك بحرية أكثر، وإذا ما اطمأن فيها بدأ بالتعري فيها، التعري الجسدي والفكري، لكنه عندما يخرج منها يعيد تماسكه

---

[1] علاوة كوسة:رواية بلقيس(بكائية آخر الليل)،ص19.

[2]المصدر نفسه، ص 34.

ويبدو كما لو أنه خرج من تحت غطاء خاص»[1] فالغرفة هي مكان الاستقرار والهدوء والأمان وهي توحي بشعور البطلين بالراحة والاطمئنان والخصوصية.

والإقامة في الفندق لها أهدافها وذلك من أجل مناقشة قضايا معينة وهذا هو سبب وجود بلقيس وخليل تلبية لطلب حضور ملتقى الريشة والقلم فجاءها هذا المكان حافلا بالدلالات التي تعبر عن دواخل الشخصيتين اللتين يتملكهما الحزن والأسى فصارا لا يشعران بما يدور حولهما داخل هذا المكان، ولقد التقى فيه خليل وبلقيس، وبالضبط في قاعة الإفطار «كان يقابلك على الضفة الأخرى من الطاولة مقعد خال... وقد استندت رأسك المشتعل شيبا... إلى كف يدك اليسرى... وشيء من أذنك قد بان من بين سبابتك وإبهامك»[2].

وهذا وصف دقيق لخليل من طرف بلقيس وقد كانت العينان شاهد على هذه الصفات، حيث سعى الكاتب بهذا الوصف إلى ربطنا بالواقع وتقريب الحدث، وقد كان البطلان يشعران بالقلق والضيق عند وصولهما إلى الفندق ومنحهما غرفتين من أجل ممارسة خصوصيتهما وأفعالهما دون مشاركة الآخرين، فلم يقدما وصفا دقيقا للغرفتين وإنما اكتفيا بذكر بعض الأغراض التي يشعران من خلالها بالراحة والطمأنينة.

وهذا ما يتناسب والمكان المغلق، إضافة إلى الغرفة فقد وظف الروائي علاوة كوسة قاعة الإفطار وهي مكان تبادل النظرات الأولى بين البطلين وكل هذه المواصفات هي ما أعطت المكان دلالته فهي تعد كذلك«الخلفية التي تقع فيها أحداث الرواية»[3]، إذ تعتبر أرضية مناسبة وخصبة لانطلاق الأحداث ومسار الشخصيات.

---

[1] ياسين النصير: الرواية والمكان، ص 78.

[2] علاوة كوسة: رواية بلقيس (بكائية آخر الليل)، ص 41.

[3] سيزا قاسم: بناء الرواية، ص 74.

ولقد أسهم الفندق في الكشف عن نفسية الشخصيات، حيث تجاوز الكاتب الحدود الهندسية لهذا المكان المغلق لتعكس حالة البطلين النفسية وما يشعران به من ضيق وضغط يناسب صفة البطلين الذي ساهم في خلق المعنى عبر المسار الحكائي، لقد كانت العلاقة بين الفندق والشخصيتين علاقة حميمية إذ استطاع أن يعبر عن مقصد الكاتب من الرواية من خلال التجربة التي عاشها البطلين فبمجرد لجوء البطلين إلى الفندق انهالت عليهما الذكريات فيغدوا هذا المكان اللوحة النفسية التي عاشها كل من خليل وبلقيس فيقف شاهدا على عمق الأحداث حيث يكتسي طابعا خاصا من خلال تفاعل الشخصية معه.

ثانيا- الغرفة.

تعد الغرفة من أهم الأمكنة التي ركز عليها الروائي علاوة كوسة في روايته باعتبارها مكانا مغلقا وتكون مخصصة للعديد من الأغراض وقد تكون مخصصة للنوم والجلوس فغرفة النوم من أكثر الأماكن خصوصية وامتلاكا للفرد لأنها تساعده على الاحتفاظ بأسراره بعيدا عن أعين الآخرين.

ولقد كانت الغرفة أول جزئية من جزيئات الفندق التي قدمها الكاتب من خلال رؤيته لها ليلا، فبدأ بوصفها من الإجمال إلى التفصيل باعتبارها المكان الحاضن للشخصيتين بعد وصولها مباشرة إلى الفندق «وزفني اختياره إلى غرفة من غرف الفندق ... كان رقمها بعدد سنين عمري»[1]، فحين وصولها للفندق ومنحها غرفة من طرف المضيف كان رقمها مماثلا لعمرها تماما وكذلك بالنسبة لخليل «وأنت في غرفة رقمها بعدد أعوام انكسارك تلتف الأسى»[2]، أي إن الغرفة التي وجه إليها خليل بعدد سنين آلامه وأحزانه وفراقه لحبيبته الأولى، ولتبقى للغرفة دلالاتها الخاصة حيث إن النوم أقل ما يمارس فيها بالنسبة للبطلين.

---

[1] علاوة كوسة: رواية بلقيس (بكائية آخر الليل)، ص 19.

[2] المصدر نفسه، ص 37.

فغرفة النوم تحمل العديد من الدلالات أكثر من أي مكان آخر وأهمها حفظها لأسرار أصحابها وحمل الكثير من الذكريات ومعاودتها عند الجلوس فيها جانبا مثلما هو الحال في قوله: «وأطلق عنان بصري في فضاءات تلك الغرفة المريحة الموحشة»[1] فالغرفة بالنسبة للبطلين مقر للراحة واسترجاع الذكريات إذ «وعلى الغرفة أن تراود الصمت قدر ما رغبت... أو على الأقل إراحة هذا الجسد المتعب»[2].

تمثل الغرفة إحدى مظاهر الحياة الداخلية للإنسان، كونها ترتبط مباشرة بحاجة بيولوجية نفسية وعاطفية فهي مرتبطة بوسائل الراحة الجسدية والنفسية «وأؤجل تيه الشاعرة في خيالي...كي لا تملأ فراغات وزوايا الغرفة...»[3]،إن هذا الوصف الخارجي العابر يقابله وصف دقيق للغرفة ومحتوياتها مثل توظيفه للفظ الباب «استيقظت على طرق باب الغرفة»[4].ولمصطلح الباب دلالات كثيرة ومن أكثر أشياء الغرفة بروزا، ومردّ ذلك إلى طبيعته ووظيفته التي تجعل منه المدخل الطبيعي للمكان وهناك أنواع كثيرة للمصطلح ولكن الكاتب ركز على باب غرفة الفندق حيث وظفها مرتبطة بعملية الاستئذان وربما هذه هي أبرز الوظائف الأساسية التي وجد من اجلها الباب حيث يمثل مرحلة مؤقتة ما بين الخارج والداخل وتتم عملية الاستئذان من خلال عملية الطرق.

ومن أشياء الغرفة التي وظفها الكاتب في الرواية مصطلح السرير «أباعد سرير أرتب ملابسي...»[5]، وهو من الأمكنة المفتاحية التي تساعد على فك مغاليق النص وقد وظفه الكاتب لأداء أدوار ووظائف جديدة بالإضافة إلى الوظائف المتعارف عليها «انتفض الآن في سريري بهذه الغرفة الموحشة ولكن لن ينقطع حلمي وسأتابع حركتك فيه وسفرك الذي

---

[1] علاوة كوسة:رواية بلقيس(بكائية آخر الليل)، ص 20.

[2] المصدر نفسه، ص 24.

[3] المصدر نفسه، ص 20

[4] المصدر نفسه، ص 21.

[5] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

بدأته متعبا في غرفتك»[1]، إذ يدل السرير في الرواية على أنه مكان اللعب بالأفكار وتحريك الأخيلة للنهوض بالفكر بعيدا.

ويمكن القول إن السرير ومن خلال صوره المتلاحقة في الرواية خدم السياق الفكري والعاطفي للأحداث والشخصيات والرواية بشكل عام، فهو حاوية مكانية للأحداث والشخصيات في الرواية فهو يعتبر فاعل ومكون روائي «وجدتني أحل غرفتي... وأمد يدا متعبة إلى الباب واسترجع إلى سريري الخشبي ... وقد ألقيت بهذا الجسد المتعب أيضا في ثنايا السرير»[2]، هذا السرير كمكان في رواية بلقيس يبقى الملاذ الوحيد والخيار المتوفر للهروب من المأساة والمحنة التي يعيشها البطلين في هذه الرواية فلجوء البطلين إلى السرير تعبير واضح ودلالة قاطعة على الواقع الحياتي المعاش من طرف البطلين وذلك من أجل الهروب من أرض الواقع والحلم ، والولوج إلى عالم آخر غير الذي يرغبون فيه.

كما ذكرت لفظة المرآة في العديد من المواقع فكانت أغلبها من خلال الشخصية النسائية على عكس الشخصية الرجالية التي كان تعاملها معها نادرا جدا بل وفي مواقف محددة «وجئت المرآة كي تعتدل وتعدل من رعشاتها في حضرتي... وتستقيم بعدها لأعدل شيئا من سواد خصلات شعري التي تكاد تفر من منابتها كسنبلات تنتابها شهوة الانطلاق»[3]، وهذا راجع إلى إشعال المرأة بفكرة الجمال الخارجي أكثر من الرجل، وذلك لانشغال مفهوم الأنوثة والجاذبية «للمرآة ذاكرة أيضا يا صديقي... تحفظ تفاصيل الوجوه التي مرت من هنا يوما ووقفت أمامها... ولو للحظات»[4]، ثم إن تعامل المرأة مع المرآة يأتي بصورة ملحة عند رغبتها أو اضطرارها للظهور أمام رجال غرباء... تحرض على نيل تقديرهم أو إعجابهم من الناحية الجمالية المادية.

---

[1] علاوة كوسة: رواية بلقيس(بكائية آخر الليل) ص 30.

[2] المصدر نفسه، ص 127.

[3] المصدر نفسه، ص 39-40.

[4] المصدر نفسه، ص 40.

وإن كان المكان يجعل نفسيات الشخصيات في تعبير واختلاف دائم ويعبر عن نفسياتهم ويجعلها في انفتاح أو ضيق، فإن الغرفة جعلت البطلين في إطار محدود لأنها من أماكن الثبات والاستقرار بالنسبة للشخصية تنصهر بآلامها وأحزانها وأفراحها وسعادتها «تبا لحلمك ليلتها يا خليل تنتابك رعشة الميت العائد إلى الحياة، تلعن الكابوس ... تتحسس جسدي في جسدك... تفكر أن تجيء الجناح المخصص للإناث ... كي تطمئن علي... تفتح باب غرفتك... تتشجع وتغامر... وتتسابق خطوتك نحو غرفتي...»[1].

وعليه فإنه بقدر ما توحي الغرفة من انغلاق بقدر ما تولد انعكاسات إيجابية تساهم في خرق البطلين للمكان بعناصر رواية جديدة متفتحة تحطم آلام وأحزان الماضي «آه خليل...كنت عدت إلى غرفتك مسكونا بهوس الشعراء، وعقل المجانين .... بدايات العشق شهوة، وصحو للأعماق...»[2].

إن مختلف الحركات والتفاعلات الموجودة بداخل الغرفة كانت لا تضع إلا انغلاقا مما حملته من انكسارات وقيود لذلك كان البطلان يبحثان عن التحرر والانطلاق متجهان نحو العلو إن هذا النوع من الأمكنة المغلقة يدفع بالبطلين نحو بحث دؤوب عن الانفتاح.

لقد شكل البناء الفكري في هذه الغرفة من خلال حركة الشخصيات في ذهابها وإيابها وسفرها واستقرارها، فالغرفة كمكان ثابت في هذه الرواية لا يمكنه الاستغناء عن الشخصية لأنها تطبعه بطابع الحركية والحيوية، وبالعموم تظهر حركة الغرفة من خلال علاقتها بأبطال الرواية، وكذلك طبيعة المكان كونه مكان مغلق وضيق فهذا الأخير «قد يعبر عن الحالة النفسية للشخصية سواء كانت حالة متدهورة أو تعيين حالة من القلق النفسي أو

[1] علاوة كوسة: رواية بلقيس (بكائية آخر الليل)،ص 88.

[2] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

السعادة»[1]وهذا النوع من الأمكنة الضيقة غالبا ما يوظف لمثل هذه الحالات النفسية فقد كان عاملا ساعد في وقوع بعض الأحداث واستمرار سيرورتها.

ثالثا- القاعة.

للقاعة أهمية بارزة في رواية بلقيس حيث تصنف من الأماكن المغلقة ولقد تنوعت مفاهيمها في هذه الرواية إذ ذكرها الروائي باسم قاعة النادي، قاعة الإفطار، القاعة الشرفية ولقد اختيرت قاعة الإفطار للدور الأول في الفندق باعتبارها جزءا منه بصفة عامة وقاعة النادي بصفة خاصة، وهي النقطة التي انطلق منها الروائي «أجيء قاعة النادي...لأفطر ربما... كعادتي...أم لأتفحص وجوه من سبقوني هذا الصباح إلى دخوله... ابتسامات بعضهم... تفرحني يا صديقي... أحب أن أرى البسمة معلقة دائما على شفاه الآخرين ...»[2]، فمباشرة بعد نزولها من غرفة النوم إلى قاعة الإفطار بالفندق، ولقد جاء وصفها صريحا مقترنا بالحضور الزمني في الصباح والحضور الإنساني المتمثل في خليل والموجودين في قاعة الإفطار.

ويعد الوصف من أهم سمات الروائيين الواقعيين والمهتمين بمسألة الشكل والبناء، إذ يعتبرونه تقنية تساعد على تطوير الحدث داخل السرد «... كنت وحدك يا صديقي ... نبيا هجره قومه... أو هجرهم... ويا حرّ قلبي من كلا الهجرتين!!!»[3] فهذا الوصف الدقيق يزيد من الجمال الفني للرواية كونه ينهض بكشف كل ما يتعلق بأحوال الشخصيات النفسية وطبائعها وخصوصياتها التي تتميز بها من غيرها، وتقريب المكان وتحريكه واستنطاقه مما يوهم بالواقع، ويجعل القارئ يفترض له صورا في ذهنه؟.

---

[1]اسماعيل زغودة: بنية المكان في الرواية الجزائرية المعاصرة، عبد الملك مرتاض نموذجا، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2013 -2014، ص 211(غير منشورة).

[2]علاوة كوسة: رواية بلقيس (بكائية آخر الليل)، ص 40.

[3]المصدر نفسه، ص 41.

وتتميز هذه القاعة بكثرة مكوناتها وحسن نظامها ثم يتدرج في استعراض أحداثها«... كانت أصابعك يا صديقي...غير مرتبة بالتمام...إنما أربكتها ألحان آسية تنساب من نايات صمتك الآن ...»[1] تصف بلقيس خليلا ويبدو جليا أنه رغم اكتمال جزيئات القاعة، إلا أنها لا تبدو واضحة المعالم إذ نجعل مواقع الأشياء يمينا أو يسارا، وعندما أشار إلى صورة خليل بقوله «فحين هممت بمغادرة مكاني في تلك الزاوية بقاعة الإفطار...لأدع مقعدي ومقعد الآخر الشاغر لقادمين إثنين قد يلتحقان...»[2]، ففي ذلك دليل على حالة محدودة غير متجددة في تلك القاعة، لتبقى حركة العينين الوحيدة المتحكمة في تقديم أحداث تلك القاعة.

ثم يشير الكاتب إلى انتقال البطلين إلى مكان آخر مغلق بقوله: «... ها أنا الآن أفضل الالتحاق بدار الثقافة لأشهد افتتاح الملتقى... سيرا على القدمين ... ونحن سائران إلى حيث سيقام حفل افتتاح هذا الملتقى الأول للريشة والقلم...»[3]، إنها حركة انتقال بلقيس وخليل من قاعة الإفطار إلى دار الثقافة وبالضبط إلى قاعة الافتتاح التي تمتاز بالضجيج الكثيف، وتتواصل حركية المكان في قول الراوي:«قبل لحظات كنا نصغي بكل ما أوتينا من حس إلى تلك الأنغام المنبعثة من قصبة الناي ... التي ملأت القاعة سابحة بمن فيها في عوالم بعيدة....»[4]، إن هذا المكان اليوم يضج بأصوات المعنيين وآلاتهم الموسيقية فقاعة الافتتاح تتوسط دار الثقافة هذه الأخيرة التي تعد مؤسسة ثقافية تشتمل على خدمات متنوعة إذ تقدم دورا أساسيا في إثراء الجانب الفكري للفرد.

ويمكن القول إن المكان المغلق أي القاعة قد ساعد في توسيع مفاصل الأحداث وفي هذا الإطار ظهرت بنية المغلق بوصفها بنية مهيمنة ولم يهتم الكاتب بالمكان ذاته بل دلالاته، وإبراز الجانب الشعوري الداخلي للشخصية «... هي صدفة التي صدقتني وقد

---

[1] علاوة كوسة: رواية بلقيس (بكائية آخر الليل)، ص 43.

[2] المصدر نفسه، ص 44.

[3] المصدر نفسه ، ص 47.

[4] المصدر نفسه، ص 63.

أرحت جسدي المتعب جنبك والدهشة تلفني... إنك هنا... إنني جنبك .... سمعتني إذا أنت كنت هنا عندما كنت أنا هناك!!»[1]

وبذلك انتقلت حركية المكان من الانغلاق إلى الدلالة النفسية، فالأحداث جرت في قاعة الافتتاح التي استخدمها الروائي للتعبير عن موقف البطلين، إذ لا يكون للمكان أهمية إلا عندما يحدث شيء ما في حدوده الجغرافية وهنا تظهر علاقة التأثير والتأثر بين هذا المكان – قاعة الافتتاح– والبطلين «تحاورني ابتسامة فرّت من محجر عينيك اللحظة ... يتنهدني صدرك... وتعيرك اللغة جملة أو جملتين ... مجاملا ربّما...

–رائعة قصيدتك يا بلقيس..

– ومروعة أنا!!

– بل أنت الأروع ... والأجمل...»[2].

وهذا أول حوار بين بلقيس وخليل وهو حوار بسيط يعالج موضوعا بسيطا بينهما ولقد مزج الكاتب في هذا النص بين الحوار المباشر والمونولوج، فالحوار المباشر تحدده طبيعة الحدث وأهمية الشخصية فهو أكثر المقاطع الروائية تمثيلا لآراء الشخصيات، أما المونولوج فهو من أهم المكونات السردية التي وظفها الكاتب في هذه الرواية وله العديد من الوظائف أهمها كشف خبايا الذات الشخصية وما ينتابها من هواجس ووسواس فهو حوار أحادي يكون فيه الشخص متكلما ومتلقيا، حيث يسهم في إضاءة بعض الجوانب المهمة في حياة الشخصية.

ولقد احتلت القاعة في البناء السردي لرواية بلقيس مركزا هاما فمنها كانت الانطلاقة لبداية الأحداث بين البطلين بداية بقاعة الإفطار ووصولا إلى قاعة الافتتاح التي جرى فيها

---

[1] علاوة كوسة: رواية بلقيس (بكائية آخر الليل)،ص 76–77.

[2] المصدر نفسه، ص 77.

أول حوار بين البطلين، ثم إن ماضي البطلين وحاضرهما أعطى حركية متنوعة للمكان أسهم في نسج أحداث الرواية وتطورها وتفاعل الشخصيات في هذه الأمكنة.

رابعا- المرسم.

من الأماكن المغلقة الموجودة في الرواية نجد المرسم فهو مكان مخصص للرسم ولقد اكتسب أهمية بارزة في رواية بلقيس لأنه مكان يجمع البطلين بلقيس وخليل ولو لفترة وجيزة «... أليس المرسم ... ملتقانا المؤقت الذي نخشى أن يزول...»[1]، فبلقيس تخشى أن ينتهي هذا الملتقى وينهي لقاءها مع خليل المفعم بالشوق والحنين.

ويثير الكاتب إلى حركة انتقال بلقيس من الفندق إلى المرسم: «..كنت...مجنونة ذلك الصباح ... ونحن في طريقنا إلى المرسم... وزاد في تيهي وجنوني ذلك النبر الحزين الدافئ المنبعث من مذياع الحافلة... بصوت جبلي منبسط...»[2]، فالحافلة من الأماكن المتحركة ووسيلة نقل وتسهم شخصية بلقيس في الكشف عن القوى التي تحرك الواقع لصنع الأحداث فبمجرد الإشارة للمكان تكون الإشارة إلى الحدث.

وللهاتف دوره البارز في تحريك الأحداث داخل المرسم:«وفي اللحظة التي هممت بالمجيء إليك ... انطلقت من هاتفك نغمة حزينة لم أكد أسمعها إلا ممزوجة بهمهمات الحضور داخل المرسم ... ولكنك تأملت شاشة هاتفك النقال مليا ... ثم فتحت الخط»[3] فالهاتف وهو من أبرز وأهم وسائل الاتصال يمكن من التواصل مع الآخرين دون شرط التواجد في المكان نفسه ثم إنّه وسيلة اتصال حديثة وأكثر فاعلية في حالة صعوبة التواصل سواء للبعد الاضطراري لظروف عمل أو غيره، أو بسبب القيود التي يفرضها الأهل.

---

[1] علاوة كوسة: رواية بلقيس (بكائية آخر الليل)، ص 108.

[2] المصدر نفسه، ص 92.

[3] المصدر نفسه ، ص 97.

ولقد أسهمت الساعة في البناء الروائي:« ونظرت إلى ساعة بيسراك...وبدا غيم الحيرة مبثوثا على محياك...»[1]، للساعة دور كبير من خلال معرفة الوقت وتحديده باعتبار المرسم مكانا واقعيا تتحرك فيه الشخصيات فهو جزء من هذه المدينة الساحلية حيث تمكن هو الآخر من رصد أحداث واقعية من خلال رسوماته فهو يلعب دور الواقع والخيال وبناء على ما سبق فإن الروائي ركز على الوصف دون الاهتمام بتلك التفاصيل التي اعتدناها في الرواية التقليدية من حيث الجمود والاستقرار والتوضيح، وإنما أصبح مشحونا بالحركة من خلال الأحداث التي تدور حولها الرواية.

ويمكن القول إن المرسم قد ساهم في صنع أحداث متوالية وتوسيعها فالكاتب لم يهتم بالمكان بقدر ما كان تركيزه على الجانب الداخلي للشخصية «أذكر أنني غادرت المرسم مثقلة بهواجس أرجوانية لا تريد أن تتأطر أو تنتهي وتزول...»[2]، غادرت بلقيس المرسم وكأنها ارتبطت ارتباطا حميميا مع هذا المكان عبر تذكرها للأحداث التي جرت فيه وحنينها لتلك الذكريات بكل ما فيها من مشاعر فياضة، فالمكان أحد مكونات البنية الحكائية والعمل الأدبي حين يفتقد المكانية فهو يفتقد خصوصيته وبالتالي أصالته.

وبعد رجوع بلقيس إلى المرسم تتوالى الأحداث«عندما دخلت المرسم ذاك المساء... كان في ذاتي كثير الفراغات التي لم أشأ أن تتسع ... وعديد الأسئلة التي لا أريد لها أن تتكاثر... كنت أتحسس وجودك بين هؤلاء الأنبياء المنتشرين في جنبات المرسم... كنت أريدك أن تكون بينهم... وإن أخطأت النبوة مرات كثيرة...»[3]، فمباشرة عند دخولها المرسم كان في المساء فالمكان هو الشخصية الأولى والقضية المحورية الذي يدور فيها الأحداث.

---

[1] علاوة كوسة: رواية بلقيس(بكائية آخر الليل)، ص 97

[2] المصدر نفسه، ص 101.

[3] المصدر نفسه، ص 109.

مما سبق يتضح أن المكان المغلق هو مكان محدود بحدود تمفصله عن الخارج، مما يجعله يتصف بالضيق فتكون بذلك حركة الشخصيات محدودة، ولقد كان المكان المغلق حاضرا في رواية بلقيس لعلاوة كوسة، حيث اختاره الروائي كميدان لحركة الشخصيات كما أفاد دلالات تتجاوز تلك الحدود المادية من خلال ما تحيل عليه من المعاني النفسية، فقد مثل المكان المغلق الثنائية الضدية للمكان المفتوح مما دعى إليه الانفتاح من تحرض وبث عن الحرية وكسر القيود حاول المكان المغلق أن يقوم بفعل عكسي يحد من ذلك التحرر ويبعث على التقيد والتعثر.

ويحمل المكان المغلق العديد من الدلالات منها الإيجابية كالألفة والأمان ومنها السلبية كالخوف والوحدة، ولقد شكل المكان المغلق مظهرا من أهم المظاهر الجمالية في رواية بلقيس، فالمكان المغلق يمثل البيئة التي تعيش فيها الشخصيات وتتحرك فهو يتسم بالثبات رغم حركية الأشخاص لكنه يتجاوز ثباته وهندسته وجغرافيته كما هو الحال مع دار الثقافة والمرسم فتنشأ علاقة حميمية بينه وبين الأشخاص الذين يعيشون فيه كالفندق والغرفة ودلالة الأمكنة المغلقة تختلف من مكان إلى آخر فدلالة الغرفة ليست كدلالة المرسم، فكل دلالة تقدم دورا مهما في الرواية بذلك يبرز تأثيرا متبادل بين المكان وطبائع الشخصيات.

الفصل الثالث:حركية المكان النفسي في رواية بلقيس

أولا- الحزن
ثانيا- الخيبة
ثالثا- الحب
رابعا- الخوف
خامسا- الشوق والحنين

يأخذ المكان النفس اكتماله من مشاعر الشخصية وحالتها النفسية ليتحول إلى مكان جديد أي إنه المكان المنبثق من خلفيات النفس فالمكان النفسي يعكس احباطات الذات وسقطاتها الوجدانية والنفسية نتيجة التأثيرات المحيطة بها، ولهذا المكان علاقة وطيدة بنفسية الإنسان فهو مرآة عاكسة لأفعالها ومزاجها وهو « دعامة أساسية لكل تطور إنساني وكونه منطلق كل دراسة تريد أن تدرك أبعاد النص وخلفياته النفسية والإنساني »[1].

فالمكان النفسي إذن هو الذي يكشف الخلفيات النفسية للشخصيات الروائية ولقد استعان علاوة كوسة بهذا النوع من الأمكنة الذي يحمل في طياته شحنات دلالية تصور لنا الوضع النفسي الذي يعيشه أبطال هذه الرواية وغيرها من الأمور المتعلقة بحياتهم، إذ يجعل المكان شخصية تخبر القارئ عن طبيعته وعن الأشخاص الذين يقيمون فيه.

والمكان النفسي يجسد أفكار الشخصيات وما يختلج خيارهم وذاكرتهم من تصورات وأحلام وآراء فيغدوا الأديب مصورا فوتوغرافيا يضيف إليها لمسات إبداعية ويكسر أفق توقعه لينتج عملا أدبيا راقيا يغري القارئ، ثم إن المكان النفسي أشد التصاقا بالحياة البشرية فهو بمثابة بطاقة هوية عن الحياة الشخصية الروائية، والمكان الروائي ليس بشرط أن يكون ذلك المكان المحدود بعوالم هندسية « بل لكل ما في الخيال من تحيز أننا ننجذب نحوه لأنه يكثف الوجود في حدود تتسم بالحماية، في مجال الصور لا تكون العلاقة المتبادلة بين الخارج والألفة المتوازنة »[2].

أي إن المكان هو العنصر الأساسي في العمل الروائي وإن لم يكن مكان ما من الواقع الروائي فإن الروائي يلجأ للخيال والتصورات الذهنية ويضع مكان مضيفا إليه الشخصيات والأحداث، فالمكان النفسي هو الذي يكشف سلوكات الأشخاص ونشاطاتهم

---

[1] قادة عقاق: دلالة المدينة في الخطاب الشعري المعاجم (دراسة في اشكالية التلقي الجمالي للمكان)، من منشورات اتحاد العرب، دمشق، د، ط، 2001، ص259.

[2] غاستون باشلار: جماليات المكان، ص31.

اليومية وهو مرتبط بهم منذ الولادة إن يحدث تغيرات على حياة الشخصيات من خلال الأحداث إما أن تكون مأساوية أو جميلة.

وفي هذا السياق فإن الروائي علاوة كوسة في روايته بلقيس تمكن من خلال توظيفه للمكان وأبعاده النفسية التعبير عن مختلف التغيرات التي طرأت على شخصيات الرواية ومن بين أهم الأمكنة النفسية التي تطرق إليها الكاتب في هذا العمل الروائي ما يأتي:

أولا- الحزن.

لقد تنوعت مظاهر الحزن في الرواية بين الإحساس بالكآبة والشعور باليأس بالعزلة والوحدة وكذلك ظاهرة الحب التي أصابها الحزن، ولقد حركت هذه التجربة الشعورية قلم الروائي علاوة كوسة إذ استطاع من خلالها تجسيد هموم البطلين وأحزانهما « تنعكس نصاعته على سمرة وجهي التي صرت اشتاق إليه من حزن لآخر »[1]، فهذا الحزن الذي يلف بطلي الرواية لم يأت من العدم، فالكاتب أراد أن يكون مخلصا لذات البطلين ويمدهما ما أراد من حقوق عليه، فالواقع المرير مرا به هو ما تسبب في حزنها« وفي عيون العابرين أحاول...أن...أن...لا أقرأها ما خط عليها الزمن من حزن وحيرة »[2]، هذا الحزن الذي ينتج عن الإضراب والحيرة، فكيف لهما أن لا يحزنا؟ وكيف أن لا يتدمرا؟ وأن لا ينفجرا؟ إن الخراب الذي تعرضا إليها والآلام الحادة أسهمت في خلف جو من التوتر كاد يخنقهما.

فالكآبة تعمقت جذورها في نفسيتهما فأصبحت أسيرة الحزن، فكان سعي بلقيس وخليل وهمهما الوحيد هو تغير الواقع الأليم « يرن هاتفي نغما حزينا كنت اخترته لوقع على قلبي المفجع لذكرى اقتران سماعه ذات صدمة بخبر محزن »[3]، فكل الظروف كانت مهيأة ليحيا هذا الحزن الكبير في نفسية خليل وصل إلى أبعد حد.

---

[1] علاوة كوسة: رواية بلقيس (بكائية آخر الليل)، ص16.

[2] المصدر نفسه، ص19.

[3] المصدر نفسه، ص27.

ولقد أعطى الكاتب لمصطلح الحزن العديد من المفاهيم منها الخراب، الخيبة، الجراح الانكسار البؤس، وكل هذه المعاني الشعورية امتزجت ببعضها البعض لتغطي في الأخير كل ما يدل على المرارة والتعاسة « وعيناي القريحتان تتوضآن من ملح اغترابي المتنامي»[1]لقد وصل الحزن لمرحلة مأساوية فعبر عنه بالاغتراب، وسبب ذلك اشتداد الإحساس بالضياع والحنين للماضي والتطلع لمستقبل أفضل.

لقد كان الماضي جميلا مفعما بالحب والحميمية وهذا اليوم كان غريبا بسبب رياح التغيير السلبية التي ضاعفت من معاناة البطلين وزادت من حسرتهما على الماضي « أنت تعرف يا صديقي ... بأنه الآن معها ... مع زوجته ... أنثاه في فضاءات أنثت وذكرت ... وحتما سيعول عليها ... ولكن ستكشف الأيام القادمة كل شيء...بعد أن تركني كسيرة أسيرة... أحاول في ظل هذا الخراب ترتيب أصابعي »[2] تختزن بلقيس ذكرياتها الأليمة التي لم تنساها الأيام فيها كما حركت المدينة الساحلية همومها ومشاعر الحزن والإحساس بالحصار « غرفة رقمها بعدد الأعوام التي شكلت عمر جرحي وصدمني منذ أن كتبت حبيبي لآخر غيري ... وأنا الوفي لعيد ميلاد جرحي ... الذي احتفل به وأحبيه كل عام»[3].

يزداد ضيق خليل كذلك في هذه المدينة حيث يسترجع زمن كآبته وذكر حبيبته التي كتبت لغيره... إن الأوضاع التي مر بها البطلين جعلت مشاعر الخيبة والعبث والكآبة تسيطر على عالمها النفسي وتلازمها أينما حلا حتى بعد وصولهما إلى هذه المدينة الساحلية ليصبح الحزن والألم هو الثابت الوحيد في حياتها بفعل ما تقترنه ذاكرتها من مآسي وخراب « وتشكلنا خرابا في صدفة لقائنا الأول ... أو قل ... في صدمة ميلادنا المستحيل ذات لقاء ... أكاد أصدق قبلي ... بأن الأقدار قد رتبه لنا ... ليتقسم بأصابع الذكرى جرحنا

---

[1]علاوة كوسة: رواية بلقيس (بكائية آخر الليل)، ص24.

[2]المصدر نفسه، ص30.

[3]المصدر نفسه، ص34.

القديم »[1]، يتقاطع مصير بلقيس في هذه المدينة بمصير خليل يتقاطع يعيش هو الآخر محنة الحزن والألم والفراق، ليبرز الحزن في هذه الرواية لكل ما يحمله من دلالات الضياع والإحساس بالاغتراب.

ولقد ظهرت معاناة البطلين بسبب معاشيتهما للواقع وحينما ارتحلا إلى هذه المدينة آملين في أن يجدا ذواتهما.

«... أغلقت نوافذ الوجع في ذاكرتي.

...استدرت إلى جهة باب القاعة المفتوح.

...وبين نوافذ وجعي ... وباب القاعة هبت نسمات محياك على ستائر مرآي»[2].

فمظاهر الحزن التي تجلت عندهما تتم عن نوع من القلق، إنه قلق البحث عن المعنى الحقيق للحب ومحاولة تجاوز الموضع الراهن، وهذا النوع من الحزن هو محاولة نفسية لازمة التطور «وفعلتها وجلست جنب أي أحد ... وفي الذاكرة ... أنني بحثت عن حب ... أسطوري ... وخفت أن يكتشف الآخر ... يحث ملاحقتي ... آن ... أيمكن أن أدرأ الشكوك وأحب أي أحد؟!!»[3]

وهذا الصراع بين محاولة البحث عن الحب الحقيقي والخوف من الآتي من شأنه أن يؤزم العقدة وبالتالي يتشوق القارئ لمعرفة أي الشعورين يتفوق، فالمكان النفسي هنا كشف لنا مدى حزن البطلين وعكس المعاناة والآلام التي عاشاها، فالحزن من أكثر الأمكنة النفسية التي أخذت حظا وافرا في تطور الأحداث، حيث شكل صراعا داخليا كشفت عنه الرواية، كما تضمن هذا المكان مجموعة من المتناقضات ذات أهمية كبرى في التعبير عن حالة البطلين والصراع الذي جرى في نفسيتهما.

---

[1] علاوة كوسة: رواية بلقيس(بكائية آخر الليل)، ص17.

[2] المصدر نفسه، ص44.

[3] المصدر نفسه،ص74.

ثانيا- الخيبة.

تعد الخيبة ظاهرة نفسية لها حضورها الواضح في رواية بلقيس حيث سعى الروائي علاوة كوسة إلى جمع كثير من المتناقضات نتجت عنها هذه الأزمة العاطفية وأدت إلى حدوث صدمة في حياة البطلين، كان لها تأثيرها البالغ عليهما حيث عكست هذه الرواية ألوانا من القلق والتوتر، وبعثت صورا من الخيبة والاهتزاز العاطفي في حياتهما.

لقد عانت بلقيس و خليل من مستويات متعدد من الخيبة لما حل بهما من خيانة وغدر وفقدان «بكل ما ورثت من خراب وجلبت من خيبة فقط لأكتب إليك شيئا يشبه الشعر، يشبه الاعتراف ... والتعري»[1].

ولقد زادت الضغوط النفسية على البطلين في هذه المدينة الساحلية نتيجة لحالة التمزق والضياع التي يعانيان منها وأدت إلى الشعور بالوحدة والاغتراب « أرتب خرابي وخيبتي في مدارج الذاكرة وأحمل بعض أوراقي المبعثرة وأختار أن أجئ ... أجئ ... أجئ تلك المدينة »[2]، يقرر خليل القدوم تلبية لطلب حضور الملتقى في هذه المدينة وعليه فإن الظروف التي مرا بها بلقيس وخليل هي التي أثرت وبشكل كبير على حياتهما العاطفية والنفسية.

ومن مظاهر الخيبة لدى البطلين عيشهما في جو من الصراع النفسي الداخلي « لم أفهم ذاتي طوال قراءاتي المتعددة لتلك المجموعة وتلك النصوص المهربة من ذاكرة عاشق منكسر مثلي ... ووفي مخدوع مثلي أيضا »[3]، إن تعرض بلقيس للخيانة وخليل لفقدان حبيبته وزواجها من شخص آخر من الأمور التي ظلت محفورة في الذاكرة، فشكلت سلسلة من الصراعات النفسية أدت إلى عدم استقرار البطلين والإحساس بالغربة والضياع «كم كنت

---

[1] علاوة كوسة :(بكائية آخر الليل)ص15.

[2] المصدر نفسه، ص32.

[3] المصدر نفسه ، ص29.

وحدك ... يا ابن محنتي وخرابي وشقيق خيباتي »[1]،فكل من بلقيس وخليل يحملان عبء جراحهما وعبء الماضي المليء بالذكريات والأحزان.

والمتمعن في الرواية يكتشف دون لبس وغموض أن البطلين يعانيان حالة من الخيبة، فالإنسان الذي يعاني الخيبة، يعاني لا محالة من الألم والفقدان والشعور بالتيه والاغتراب، ليصل إلى عدم القدرة على التواصل مع نفسه أي الشعور بالانفصال عن الذات، « وحدكما اللذان تحول كل ما فيكما إلى خراب وخيبات، فصرتما تضفيان بمسامع الأسى ... وتبصران بعيون الفجيعة وتحسان بقلوب المجروحين والملكومين»[2]، أي إن هذه الظاهرة المقلقة ربما ترجع إلى عدم قدرة البطلين على تحقيق التوازن الذي كانا يبحثان عنه طوال حياتهما، التوازن بين الداخل والخارج، بين النفس والواقع «كان قالها قبلك يا صديقي صديق قديم ... كان كررها يا حبيبي خليل ... حبيب قديم ... فلا تدعها تتكرر ... لأنني أخشى أن تتكرر الجراح»[3].

ويظهر أن شخصية بلقيس تعيش حالة كبيرة من الخيبة والاضطراب النفسي، وعلامة دالة على القلق والتوتر والخوف الذي ينتاب أعماقها ويرهق نفسها حتى تبدو وأنها عاجزة عن السير في خط نفسي منتظم، واختلفت صور الخيبة فحياتها مبنية على التوتر الصامت والكتب والغرق في التهور التناقض بين الظاهر والباطن« كم كانت ضعيفة ذاك الصباح ... وقد جئت لأغتنم اللحظة، الفرصة ... وأخادع المدينة مظهرة لها سرورا مفتعلا ككل أنثى ... أو على الأقل كي أبدو عادية في شكل ومظهري ...»[4].

وفي مواجهة الخيبة والوحدة وما يرسخ في النفس من صراعات لا تملك بلقيس إلا أن تبحث عن نوع من الثقة، والتعويض النفسي لتحقيق لأمن التماسك الشكلي، ثم إن الفشل في

---

[1] علاوة كوسة: رواية بلقيس (بكائية آخر الليل)، ص67.

[2] المصدر نفسه،ص61.

[3] المصدر نفسه، ص77.

[4] المصدر نفسه، ص49.

تحقيق الأمل أو الغاية التي يسعى إليها الإنسان يبعث في النفس الألم والخراب، فينتج عنه نوع من الاغتراب النفسي، ويصاحب شخصيات النص شعور بالضياع والتيه، وربما هذه الصدمة التي تعرض إليها بلقيس وخليل أدت بها إلى طريق آخر «كالشمس مثلا تتحول في أقطار السموات ... لكن في تحولها مستقر وثبات: صبح للإشراق ... ومساء للغروب كل شيء يتحول بمجئ هذا الإنسان »[1].

وهذه الصدمة بقدر ما كانت مؤلمة للبطلين وأدخلتها في متاهة الخيبة والاعتزال إلى حد كان يصيبها مرض نفسي فقد دفعتها للخروج من عزلتها والبحث عن حب يعوضها عما فقداه ويشاطرها الأحاسيس والمشاعر «أما أن تفكر في التحول ... فهذا يعني أنك قد يقر دروبا أخرى تحاذي ذاكرتك ولا تهدمها ... وين هاتين الصفتين اخترت أن أتحول عن الأمس لا أن أهدم الأمس »[2]، كانت هذه بداية التحولات في حياة بلقيس حيث بدأت الأحداث تمتزج في فكرها فقد عايشت محنتها بكل ملابساتها نفسها ولا يمكن أن تتكره لأنه جزء من حياتها وشخصيتها.

لم تكن محنة الخيبة التي مست البطلين عاملا سلبيا بل إيجابيا فهي من الأمكنة النفسية الرئيسية التي أثرت على الحركية السردية من حيث البناء والدلالة فهي ساعدت على معرفة الحالة النفسية للشخصية في هذا النص، فالخيبة هنا هي مكان نفسي يمكن وصفها بأنها مكون خيالي يتعالق مع الواقع فهي من الأمكنة التي تساهم في تنظيم «تمفصلات الأحداث في العمل الروائي، ويعمل على ربطها ويقوم على انسجامها وتماسكها »[3]، وهي تفسح المجال لوقوع الأحداث وسيرورتها.

---

[1] علاوة كوسة:رواية بلقيس (بكائية آخر الليل)،ص 92،91 .

[2] المصدر نفسه، ص103.

[3] محمد نجيب التلاوي:الذات والمهماز، دراسة التقاطب في صرع رواية المواجهة الحضارية، الهيئة المصرية العامة للكتاب (2007)، ص113.

إن هذا النوع من الأمكنة مرتبط أساسا بالشخصية الروائية فهو خاضع لحالتها الداخلية يتقلب بتقلب مزاجها فيحرك مشاعرها الداخلية، ولقد كانت هذه الخيبة دافعا من أجل التغيير والتجديد ومواصلة البحث وبناء الذات من جديد، فاصطدام البطلان بواقعهما المرير شكل خرابا كبيرا في حياتهما وولد شعورا آخر هو الإحساس بالوحدة والضياع، لقد امتزجت كثير من المعاني الشعورية في حياة البطلين وهذه المعاني تشكلت أساسا لتنوع الأحداث ولتكون في خدمة أبطال الرواية فنجد علاقة تأثير وتأثير بين الأحداث والمكان وهذا الأخير وبأحداثه وشخصياته وحركته أثر في هذه الشخصيات لتخلق لنفسها عالما جديدا راقيا باسم الحب.

ثالثا-الحب.

لقد اتسعت ثقافة الإنسان لتفسح المجال لحكايات الحب وهذا ما نجده ماثلا في رواية بلقيس باعتباره موضوعا من المواضيع الأساسية في حياة الإنسان ومقوما من مقوماتها، ولقد استطاع الكاتب أن يجعل من أبطاله نموذجا يقتدى به في مجال الحب إذا استطاعت هذه التجربة أن تعبر عن نفسها«كحمامتين أمنيتين تحرسان ذلك النابض بالآمة في جنبي الأسير متعبدا في غار الحب الذي لم تكتب له النبوة ولم يصدق بنبوءاته عاشق »[1]، إذ تمثل بلقيس بطلة الرواية نموذج المرأة التي تعرضت للخيانة وغدر الغادر، لكنها ظلت متمسكة بقيمها ومحاولتها اتخاذ القرار الصحيح والتمتع بأعمال العقل والتطلع للمستقبل «وبيني وبينك مدن سأعبرها ... هاربا مني إليك »[2]، وكذلك الأمر مع خليل الذي تكتمل الأحداث بمجيئه إلى المدينة الساحلية هروبا من همومه وأحزانه ومحاولته التغيير والبدء من جديد.

إن بلقيس أستاذة جامعية وشاعرة تمنحها ثقافتها مكانة مميزة في المجتمع، ثم تجمعها الأقدار بالأستاذ والشاعر خليل في مدينة من المدن الساحلية الجزائرية، جاء إليها لحضور ملتقى الريشة والقلم« فمالنا كنا الوحيدين العابسين...المصغيين بذاتين متشظيتين...وقلبين

---

[1] علاوة كوسة: رواية بلقيس (بكائية آخر الليل)، ص15، 16.

[2] المصدر نفسه،ص32.

منفطرين...وعيون مدموعة...؟»[1] لقد تعرضا كلاهما للخيانة والفقدان فكانت هذه الصدمة دافعا لبداية حياة جديدة وأن يطورا علاقتهما بفعل طبيعة الظروف النفسية والعاطفية التي مرا بها« وفي الذاكرة ... أنني بحثت عن حب ... أسطوري ... وخفت أن يكتشف الآخر ... بحثي ... وملاحقتي ... آه ... أيمكن أن أدرأ الشكوك وأحب أي أحد »[2].

وتزدحم هذه الرواية بالكثير من تفاصيل بداية الحب بين البطلين لتكون تسجيلا لواقع الأحداث وأينما استطاع الحب أن بفرض نفسه ويتداخل مع كل العثرات التي تعرض لها البطلان «ها الآن صار جسدا واحدا وروحين ... في ارتعاش ... عذراء ... عاشقة ... آه كنا فعلناها يا حبيبي كنا فعلناها ... وآخر السكر حسرة ... وضياع »[3]، فالبطلان في الرواية أحبا بعضهما ومارسا الحب فعندما تقدما في هذه القضية جنبا إلى جنب يؤمنان بما يشعران به باندماج لذيذ كالتصاق جسد لروحين عاشقين.

لقد قدم الحب دورا أساسيا في الرواية فقد غدا شخصية لها تأثيرها الفني وشاهدا على حركية البطلين باعتباره مكانا نفسيا تبرز حركيته من أعماق الشخصية، فهو يعتبر فارسا يغزو القلوب ويتحكم في مصير الشخصيات ولقد وظف الكاتب العديد من الألفاظ الدالة على الحب ليكون معجمه الخاص مثل: عشق، نبض، طوفان الغيرة وفي مجملها تسهم في إنتاج الدلالة الكلية للنص وتسهم في تصوير الشخصية لها تفاعلها الخاص شأنها شأن الشخصيات الروائية.

ولو لم يكن للحب فعلا تأثيره الخاص في الرواية لما تشكلت له العديد من المفردات خاصة وأن « جوهر الحياة يكمن تحديدا في الرغبة في مزيد من الحياة، الحياة هي مزيد من الحياة والعمل على زيادة خفقان القلب ذاتها، وإذا لم تكن الحياة كذلك، فهي مريضة

---

[1] علاوة كوسة : رواية بلقيس(بكائية آخر الليل)، ص59.

[2] المصدر نفسه، ص74.

[3] المصدر نفسه،ص84.

وبمقياسها ليست حياة»[1]، فللحب تأثيره الكبير في النفوس له القدرة على بسط نفوذه على كل القلوب فتبوح بما في داخلها من شجون وفنون فهو يعطي قيمة للحياة.

يعطي الكاتب مشهدا متحركا للحب في هذا النص طرحا كما تعيشه الشخصيات فهو يشغل مساحة كبيرة موزعة على مختلف أرجاء الرواية «كنت فقط لا أريد أن أفكر بأنك مع واحدة أخرى شاعرة ما ... أنثى ما، أليس هذا هو جنون الحب ... وبدايته »[2]، هذا هو صخب الحب يتجلى وتفصح عنه الرواية محاولة الإحاطة به ورصد حضوره المسيطر على كافة أنحاء النص، بداية الحب بالرواية يطرح من منظورين أولهما الرواية وتصويرها للحب وثانيتهما الحب وتأثيره في الرواية.

وبالعموم لقد كان الحب شاهدا فاعلا على سيرورة أحداث الرواية ومدى تفاعل شخصياتها وعمق تأثيره في النفوس وكيف ساهم في ربط الأحداث من بداية النص إلى نهايته وكذلك دوره البارز في تغيير مسار الأحداث.

رابعا– الخوف.

يعد الخوف من الموضوعات الحيوية والمهمة التي أولاها علماء النفس جل اهتمامهم وعنايتهم فقد ورد التعريف في موسوعة علم النفس على أنه: « انفعال ينطلق بواسطة إثارة يمكن أن تسبب خطر للجسم فهو يظهر عند الحيوان وعند الإنسان، بواسطة ردود أفعال يمكن ملاحظتها وتتنوع حسب الأجناس، وحسب حدة الانفعال (انتصاب الشعر، خفض الرموش، الحواجب، الارتعاش ...) »[3]فالخوف شعور قوي بالرهبة تجاه أمره مانواجهه وقد يكون هذا الشعور واقعيا وحقيقيا.

---

[1]خوسيه أورتغا إي غاسيت: دراسات في الحب، تر: على إبراهيم أشقر، منشورات الهيئة العامة، السورية للكتاب، وزارة الثقافة، سوريا، دمشق، ط02، 2013، ص28.

[2]علاوة كوسة: رواية بلقيس (بكائية آخر الليل)، ص93.

[3]رولان دورون: موسوعة عالم علم النفس، تر: فؤاد شاهين، مج2، ط1، بيروت، لبنان، ص814.

ولمصطلح الخوف حضوره في رواية "بلقيس"عندما جمعها القدر مع خليل «... أخاف أن أرى اثنين ... متقابلين على طاولة واحدة.!!... أخاف أن يكون جسدين وفقط ... أما روحهما ... فمعلقتان بين ثرى التخلي وساء الخيانة!!! »[1]، تخشى بلقيس أن تجد في قاعة النادي اثنين تجمعهما طاولة واحدة وتخاف من أن تجد مجرد جسدين وفقط، أما العقل والقلب فيكون محلهما في مكان آخر ومثلهما الروائي بالخيانة.

كما نجد الخوف ماثلا في قولها « كان قالها قبلك يا صديقي صديق قديم ... كما كررها يا حبيبي خليل ... حبيب قديم ... فلا تدعها تتكرر ... لأنني أخشى أن تتكرر الجراح ... »[2]، تخاف بلقيس من أن تتكرر الجراح لأنها ذاقت طعم الخيانة من صديق قديم لها.

لقد أصبح الخوف عند بلقيس صراعا نفسيا داخليا يجري داخل الشخصية «إنها صورة جميلة أعجبتك!! آه ... ماذا لو كانت صورة امرأة جميلة استهوتك؟!!»[3]، وهو الحوار الذي يجري بين بلقيس ونفسها أيضا«... صرت أخشى الاخضرار في كل شيء ... في ملبسي ومأكلي وأشيائي الصغيرة، أخشاه في نومي ويقظتي، في فساتين الشجر في أوراد بيتنا القديم ... في كل شيء يا خليل ... صرت لأقوى الآن على ... فتح الخط ... وفي حضرتك كان عليّ أن أخشى كل شيء ... »[4]، فبلقيس هنا تخاف من أي شيء لأنها خاضت تجربة حياتية مليئة بالحزن وتخاف من أن تتكرر جراحها القديمة.

فالخوف عند بلقيس متجذر في نفسيتها وتربطها علاقة بين الماضي من خلال تحريك هذا المكان النفسي واستنطاقه لأنها دائمة الخوف على تكرار الماضي لأنها تحاور نفسها دائما وهذا الحوار يساعد على كشف خبايا الذات الشخصية وما ينتابها من هواجس.

---

[1] علاوة كوسة: رواية بلقيس (بكائية آخر الليل)، ص41.

[2] المصدر نفسه ،ص77.

[3] المصدر نفسه، ص97.

[4] المصدر نفسه، ص83.

خامسا- الحنين والشوق.

ورد مصطلح الحنين في معجم لسان العرب قول ابن منظور: «الحنين: الشديد من البكاء والطرب، وقيل: هو صوت الطرب كان ذلك عن حزن أو فرح والحنين: الشوق وتوقان النفس»[1] فالحنين والشوق تعبير عن حب ينتظر عودة الحبيب الغائب لكن تأخر بالعودة لذلك اشتعل الشوق في داخله وأصبح كاللهيب.

لقد تجلى هذا المصطلح في الرواية إذ يبدو الشوق واضحا على بلقيس لأنها تتوق لرؤية خليل في قولها « أكتب إليك بدم القلب ... بصدق ... وأضع على جراحاتي ملح بحار الشوق ... كي ... لا تبرأ ... ولا أريدها أن تبرأ أبدا ... فدم جراحنا هو حبه أقلامنا ... بعد أن جفت العيون المدموعة!!»[2]، تجعل بلقيس من هذه الجراح دافعا لكتابة قصيدتها والشوق هو الدافع الأساسي للكتابة لتكتب وهي مليئة بالشوق والحنين.

ويعد الشوق مكانا نفسيا خاصا بالشخصية باعتباره جزء منها حيث تمكن من رصد الأحداث التي وقعت في هذا النص الروائي، فالروائي لم يرتكز على مختلف الأحداث التي وقعت وإنما ركز على نفسية بلقيس والحوار الذي جرى في داخلها وشعورها بالسعادة والأمن عند رؤيتها لخليل.

عند قراءتنا للرواية نجدها توحي بالدلالة النفسية والتي تبدو جلية في الحنين والشوق من طرف البطل خليل وأفضل دليل على ذلك تتجلى في قوله:« ... أرتب خرابي ... وخيبتي في مدارج الذاكرة ، وأجمل بعض أوراقي البعثرة ... وأختار أن أجئ ... أجئ ... تلك المدينة قتل موعد الافتتاح بيوم كامل ... شوق ما في الأعماق بحث خطاي على المجيء ... »[3]، فبعد انتقال خليل إلى المدينة التي سيحضر فيها الافتتاح قبل الموعد بيوم

---

[1]ابن منظور: لسان العرب، الجزء الثالث، دار الصبح إديسوفت ، لبنان، بيروت، الدار البيضاء،ط1، 2006، ص346،مادة (الحنين).

[2]علاوة كوسة: رواية بلقيس (بكائية آخر الليل)، ص17، 18.

[3] المصدر نفسه ، ص32.

والشوق يدفعه إلى الحضور وكأن الروائي هنا يجعل من نفسية خليل تتحرك وتتكلم وتحثه على التقدم إلى الأمام من أجل حضور هذا الملتقى.

والشوق والحنين محفورا في أعماق بلقيس وتربطها به علاقات قوية تجسد عمق المشاعر وذلك من خلال استنطاقه من طريق الإحساس المرهف فالعلاقة بين الإنسان والمكان علاقة متجدرة وهي علاقة حميمية، الشوق ذلك الشعور الداخلي الذي يعيشه الإنسان بينه وبين نفسه، والروائي هنا تمكن من تجسيده من خلال منحه محركا تحركه الشخصيات من مكان إلى آخر بين عوالم النفس.

بناء على ما سبق يمكن القول إن المكان النفسي مستحوذ بالدلالات لأنه ذو أبعاد يجب على القارئ إيجادها، وهو صورة ذهنية متخيلة من طرف الروائي، تخلفها لغة الحكي والسرد، فاللغة هي الوحيدة التي تستطيع تفسير التعابير الإيحائية والمجازية ولأن المكان النفسي هو مكان مجرد وليس ملموسا، فإنه يصبح حيزا وجدانيا عاطفيا ينجذب إليه المبدع وهو مرتبط بحياة الإنسان ارتباطا وثيقا في نومه وأحلامه وفي يقظته وآلامه، حيث يكشف الغامض والغريب، وقد لا يدعو المكان النفسي إلى الاطمئنان والصفاء الروحي في كل الأحوال إذْ يصبح جحيما أثناء تأزم الأحداث على أبطال الرواية مثلما هو الشأن مع بلقيس وخليل وما تعرضا إليه من آلام وأحزان وشوق وحنين.

إن تعدد المكان النفسي في هذه الرواية دليل على المخيلة الواسعة للروائي، وتوظيفه للمكان النفسي وتحرير شخوص روايته والهروب من مكان إلى آخر حزن وخيبة وحب وخوف وشوق هو حد ذاته متعة وتغيير للأجواء المكانية النفسية، ودلالة الأمكنة النفسية تختلف من مكان إلى آخر فدلالة الحزن ليست كدلالة الحب فكل دلالة تقدم دورا مهما في الرواية وكذلك طبيعة التأثير على المتلقي لأنه يساير الأحداث عن طريق فعل القراءة، و لأنه جزء في السلسلة الخطابية وكذلك توظيف الوصف المكاني، فهو يساهم في الحفاظ على الهوية الحقيقية لشخصيات الرواية وعلاقتها بالأحداث، وكما يساعد في خلق العديد من

الدلالات، والمكان النفسي هو مكون روائي خيالي يتعالق مع الواقع ويرتبط استمراره باستمرار الحركية السردية وانتقال الشخصيات والارتكاز على أمكنة مختلفة في الرواية يمثل أفقا رحبا أمام الكاتب للتصرف في مصائر الشخصيات.

خاتمة

وفي نهاية هذا البحث وصلنا إلى جملة من النتائج أهمها:

*- يعد المكان أهم الأركان التي تشكل بنية النص الروائي لأنه يجمع أجزاء النص الروائي ببعضها البعض، ولأن الرواية تحتاج إلى مكان تقع فيه الأحداث.

*- تتوفر الرواية على أمكنة مفتوحة كالبحر والمدينة والشارع كل واحد من هذه الأمكنة يحمل العديد من الدلالات في نفسية الكاتب.

*- في الرواية أمكنة مغلقة كالفندق والغرفة والقاعة إذ تعتبر مكان إقامة الشخصيات وتحركها.

*- احتوت الرواية أمكنة نفسية كالحزن الحب والشوق: وهي ناتجة عن مشاعر الشخصية وحالتها النفسية.

*- أسهم المكان في توليد المعنى داخل الرواية فهو الأرضية التي تدور فيها الأحداث وتتحرك فيها الشخصيات.

*-تنوع الأمكنة في هذه الرواية قدم دورا مهما من حيث الدلالة، وذلك بتأثيرها على الحياة النفسية للشخصية الروائية ولقد ساهمت هذه الأمكنة في استمرار الحركية السردية في هذه الرواية.

*- لقد أخذ المكان الروائي في هذا النص أبعاد نفسية دل على الارتفاع بالمكان من مجرد حيز جغرافي إلى حيز لغوي ينبض بالحركة، تفاعل معه الكاتب وحمّله هموم أبطال روايته.

*- تنوعت الأمكنة في هذه الرواية فلا تكاد تخلو صفحة واحدة منها، وهذا ما يميز الرواية المعاصرة وذلك لكي توهم القارئ بواقعية الأحداث.

*- فكانت هذه الأمكنة مشحونة بالقلق والتوتر وأحيانا بالضيق والاتساع ما يفسر الحالة النفسية للشخصية الروائية، ولقد استندت أساسا إلى الشخصية ومدى تفاعلها داخل المكان.

*-لقد استطاع الروائي علاوة كوسة أن يظهر التداخل الكبير بين الأمكنة في النّص وكيف ساهمت في تحريك حياة الشخصيات عبر انتقالها من مكان لآخر.

وفي الأخير نحن لا نزعم أننا قد استطعنا الإلمام بجميع عناصر هذا الموضوع لما يتصف به من دقة وتعقيد، وإنما نرى أن باب البحث فيه ما زال مفتوحا وسيظل كذلك بقدر عدد النصوص الروائية الموجودة على الساحة الأدبية.

المصادر والمراجع

أولا المصادر:

1-علاوة كوسة "بلقيس (بكائية آخر الليل)، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر، ط2، 2014.

ثانيا المراجع:

2- جيرار جنيت وآخرون، الفضاء الروائي، تر: عبد الرحيم حزل، دار إفريقيا للنشر، لبنان، بيروت، د ط، 2002.

3-حسن البحراوي، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، لبنان، بيروت، ط1، 1990.

4- حميد لحميداني، بنية النص السردي من منظور (النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، بيروت، ط1، دت.

5-خوسيه أورتغا إي غاسيت، دراسات في الحب، تر، على إبراهيم أشقر، منشورات الهيئة العامة، السورية للكتاب، وزارة الثقافة، سوريا، دمشق، ط02، 2013.

6-رولان دورون، موسوعة عالم علم النفس، تر: فؤاد شاهين، مج2، بيروت، لبنان، ط17- سيزا قاسم، بناء الرواية (دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ)، مهرجان القراءة للجميع، مصر، القاهرة، د ط، 2004.

8- عبد الحميد بورايو، منطق السرد، دراسة في القصة الجزائرية الحديثة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994.

9- غاستون باشلار، جماليات المكان، تر: غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، بيروت، ط02، 1984.

10-قادة عقاق، دلالة المدينة في الخطاب الشعري المعاجم (دراسة في إشكالية التلقي الجمالي للمكان)، من منشورات اتحاد العرب، دمشق، د، ط، 2001.

11-محمد بوعزة، تحليل النص السردي (تقنيات ومفاهيم)، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010،

12-محمد نجيب التلاوي، الذات والمهماز، دراسة التقاطب في صرع رواية المواجهة الحضارية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2007.

13-مهدي عبيدي، جماليات المكان في ثلاثية حنا مينه (حكاية البحار – الدقل –المرفأ البعيد)، منشورات الهيئة العامة السوري للكتاب، وزارة الثقافة، سوريا، دمشق، ط01، 2011

14-ياسين النصير، الرواية والمكان، دار الحرية للطباعة، العراق، بغداد، ط 02، 1986،

ثالثا المعاجم :

15-ابن منظور، لسان العرب، الجزء الثالث،دار الصبح إديسوفت،لبنان، بيروت،الدار البيضاء، ط1، 2006 .

رابعا- الرسائل :

16-اسماعيل زغودة، بنية المكان في الرواية الجزائرية المعاصرة، عبد الجليل مرتاض نموذجا، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2013 – 2014،(غير منشورة).

17- سعدية بن يحي، دلالة المكان في رواية عابر سرير، أحلام مستغانمي، مذكرة نيل شهادة الماجستير غير منشورة، جامعة الجزائر، 2007-2008،(غير منشورة).

خامسا-المجلات:

18- شريبط أحمد شريبط، بنية الفضاء في رواية (إذًا يوم جديد)، مجلة ثقافة، تصدر عن وزارة الثقافة والاتصال، العدد 115، 1995.

19- يسار عابدين، مفهوم الفضيلة في مصطلح المدينة، مجلة جامعة دمشق للعلوم الهندسية، المجلد الثامن والعشرون، العدد الأول، 2012.

سادسا:المواقع الإلكترونية

20-محمد عدنان، الأرصفة تخبرك عن مدينتك، هاف بوست عربي، cm.huFFpost.com.entry 25 أكتوبر -2016، الساعة 11:45.

ملخص.

تعد حركية المكان من أهم المواضيع التي عرفتها الرواية العربية الحديثة والمعاصرة، وتهدف هذه الدراسة إلى تتبع حركية المكان ودلالته في رواية بلقيس لعلاوة كوسة مع محاولة التعرف على أهم أنواعه وكيفية تأثيرها على نفسية الشخصيات، فكان المكان في كل مراحله يتخذ أشكالا ويتضمن معاني عديدة ليحدث تآلف بين المكان والشخصيات في هذه التجربة الروائية. ولقد قسمنا هذه الدراسة إلى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة.فالفصل الأول درسنا فيه حركية المكان المفتوح، بينما خصصنا الفصل الثاني للحديث عن حركية المكان المغلق، وتطرقنا في الفصل الثالث إلى حركية المكان النفسي، ثم ختمنا البحث بخاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصلنا إليها من هذا البحث.

الكلمات المفتاحية: حركية المكان، رواية بلقيس، المكان المفتوح، المكان المغلق، المكان النفسي.

Résumé.

La mobilité du lieu compté parmi les plus importants sujets qu'a connu l'histoire du conte arabe moderne et contemporaine cette étude à pour objet ou vise le suivi de la mobilité du lieu et ses preuves dans le conte de Balkis de Allaoua Koussa, et la possibilité de connaitre les différentes variétés et son influence sur le lâte psychologique et des personnalités, et donc le lieu dans tous ces états à pris plusieurs formes, et compte plusieurs sens, ce qui à fait naître une union entre le lieu et les personnalités dans cette expérience narrative.

Nous avons divisé ou partagé cette étude en une introduction, trois étages et une conclusion.

La première étape ; nous avons étudié la mobilité du lieu ouvert, tandis que la deuxième étape; nous lui avons réservé une étude sur la mobilité du lieu fermé, Alors que la troisième étape qui est la mobilité du lieu psychologique, et puis nous avons conclu notre étude compostant les plus importants résultats, auquel nous avons pu finis sinon déterminer……

Les mots clés: - la mobilité de lieu - le conte de Balkis.
- le lieu ouvert - le lieu fermé - le lieu on l'effet psychologique.